التمثل بالشعر

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن خزيمة

ⓒ دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم

التمثل بالشعر: ذيل أبيات الاستشهاد ./ محمد بن إبراهيم الحمد.

الرياض، ١٤٣١هـ

ص ؛ سم

ردمك: ٠-٦٤٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - الشعر العربي – نقد أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٣١/١٠٠١٦

رقم الإيداع: ١٠٠١٦/ ١٤٣٢

ردمك: ٠-٦٤٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض، الملز

شارع الإحساء، غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨/ ٤٧٦٩٩٣٢

فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فإن التمثُّل بالشعر، والاستشهاد به مَهْيَعٌ مسلوك، وطريقةٌ مألوفة يأخذ بها أكابرُ الناس، وأفاضلُهم قديماً وحديثاً، وذلك إذا عَرَضَ لهم عارض، أو مَرَّت بهم مناسبةٌ تستدعي ذلك.

ولقد وقفت في هذا الشأن على كتاب (أبيات الاستشهاد) للإمام أحمد بن فارس اللغوي ت٣٩٥هـ رحمه الله.

وهذا الكتاب صغيرٌ في حجمه، كبير في مضمونه، فريدٌ في بابه.

وهو يدور حول الاستشهاد بالشعر، وذلك بذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مقامات مختلفة.

وقد ساقه ابنُ فارسٍ في معرض حَسَنٍ خَلابٍ، وأسلوب أدبي جذاب.

وهذا الكتاب مخطوطةٌ نادرة عثر عليها العلامة المحقق الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله وجعلها ضمن كتابه (نوادر المخطوطات) الذي يقع في جزأين؛ حيث جاءت ضمن المجموعة الثانية من الجزء الأول من ص ١٥١-١٧٧.

وهي -كما يقول الأستاذ عبد السلام - نسخة فذة في العالم مُوْدَعَـةٌ في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب.

وموضوع الكتاب -كما مر- ذِكْرُ الأبيات التي تصلح للتمثُّل بها في مضارب مختلفة، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها؛ بحيث إذا عَرَضَ للإنسان عارض، أو مَرَّ به أمر من الأمور، أو موقف من المواقف استشهد عليه بشيء من الشعر الذي يناسب ذلك المقام.

وقد ساقه ابن فارس مساق الرواية-كما يقول- «عن رجل من حملة الحجة، ذي رأي سديد، وهمة بعيدة، وضِرْسٍ قاطع[1] قد أَعَدَّ للأمور أقرانها بلسان فصيح، ونهج مليح»[2].

ثم يسترسل ابن فارس رحمه الله في ذكر كلامه فيقول: «وكان إذا رأى ذا مودة قد حال عما عهده أنشده:

ليس الخليل كما قد كنت تعهده ... قد بدل الله ذاك الخل ألوانا

وإذا رأى محدثاً عابساً أنشد:

يا عابساً كلما طالعت مجلسه ... كأن عبسته من ذَرْق حَمَّاء

---

١ - ضرس قاطع: أي ماضٍ في الأمور، نافذ العزيمة.

٢ - نوادر المخطوطات ١/ ١٥٥.

وهكذا يستمر في إيراد المضارب والشواهد على هذا النحو إلى نهاية الكتاب.

وقد بلغ عدد المضارب التي أوردها ابنُ فارس مائةً واثنين وثلاثين مضرباً.

أما الأبيات التي استشهد بها فيزيد على ما أورده من مضارب؛ لأنه ربما استشهد على المضرب الواحد بأكثر من شاهد.

وقد بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها على مضاربه مائة وثمانية وأربعين بيتاً.

وقد جعلها على لسان رجل -كما مر آنفاً-.

ولا يبعد أن يكون ذلك الرجل هو ابنَ فارس نَفْسَه ؛ لأن هذا الكتاب يحمل نَفَسَ ابن فارس، وذوقَه الأدبيَّ الرفيعَ؛ فيكون جَرَّدَ من نَفْسه ذاتاً أخرى؛ لِيَسْلَمَ من مَعَرَّة نسبة ذلك الفضل إلى نفسه مباشرة.

ولكن هذا الزعم يبقى ظَنّاً لا يصل إلى حد اليقين، والأمر في ذلك يسير.

ويبقى -مع ذلك كله- الفضلُ لابن فارس في تأليف هذا الكتاب، وإخراجه بتلك الحُلَّةِ الجميلةِ الرائعة.

وهذا نوع من التأليف لطيف، ولم يسبق -فيما أعلم- أَنْ أفرده أحدٌ من أهل العلم أو الأدب قبل ابن فارس.

ولا يعني ذلك أن هذه المادة لا توجد البتة، بل إنها مبثوثة متناثرة في غضون كتب الأدب والتواريخ والسير، غير أن جمعها على نحو ما جاء في كتاب ابن فارس هذا لم يكن معروفاً.

ثم أن المضارب والشواهد التي أوردها ابن فارس تحتوى على تجارب نافعة، ولفتات تربوية بارعة سواء في باب الصداقة، أو تقلب الأحوال، أو تدبير المعيشة، أو في حسن التعامل مع الناس، أو الترغيب في مكارم الأخلاق، أو التحذير من مساوئها، أو نقد بعض الظواهر الاجتماعية، أو نحو ذلك مما يمكن أن يسمى بالشعر التعليمي، أو التعليم بالشعر، والتربية من خلاله، أو التدرب على تنزيله منازلَه[1].

فالاطلاع على مثل هذه المضارب والشواهد هو مما يقوي العارضةَ، ويثبتُ الحجةَ، ويوسِّعُ المداركَ، ويعين على حسنِ

١- ذكرتُ في مقدمة (كتاب أبيات الاستشهاد) طرفاً من أثر الشعر في تغيير الطباع، وإنهاض الهمم، وشيئاً مما جاء في السنة النبوية، والآثار عن السلف الصالح في شأن الشعر، والاستشهاد والتمثل به.

الاستشهادِ، وإيقاعِ الكلام في أحسن مواقعه؛ فذلك مما يحتاج إليه الكاتب، والخطيب، والمتكلم، وغيرهم ممن يروم الترقي بقلمه، ومَنْطقه، وخُلُقِهِ، ومقامه؛ فمن اتصف بذلك عَظُم وقارُه في القلوب، وكَبُر قدره في عيون أهل الفضل.

فلهذه الأسباب وغيرها انبعث الرغبةُ إلى العناية بالكتاب المذكور دراسة وشرحاً؛ حيث قمت بدراسة لابن فارس: حياته، وسيرته، وعلومه، وتلاميذه، وآثاره، وشعره، ونظراته في النقد والأدب.

ثم قمت بدراسة لكتاب أبيات الاستشهاد من حيث عنوانُه، وموضوعُه، وعددُ مضاربِه، وأبياتِه، وذكرُ بعضِ الملحوظات العامة عليه، وبيانُ مجملِ ما احتوى عليه من مضارب، وموضوعات شتى.

ثم شرحت مضاربَ الكتاب، وأبياته شرحاً يتضمن عزو الأبيات إلى قائليها، ويحلل ألفاظها، ويبين مقاصد المؤلف من مضاربه والأبيات التي استشهد بها.

وبعد أن فرغتُ من ذلك خطر ببالي أن أكتب شيئاً على منوال ما كتبه ابن فارس في كتابه هذا؛ لأن هناك مضاربَ كثيرة، وشواهد أكثر تصلح للاستشهاد في مواطنها على نحو ما ذُكر في كتاب (أبيات الاستشهاد).

فرأيت أن أُذَيِّل بها ذلك الكتاب؛ رجاء أن تتسع الفائـدة، وتكـون في موضع واحد.

وما سأذكره من المضارب والشواهد في هذا الذيل هي مما أَسْتَشْهِدُ به أحياناً، أو أسمع غيري يستشهد به في مناسبات شـتى؛ فرغبـت في تقييده ههنا، وأن أسـير فيـه عـلى نهـج ابـن فـارس في كتابـه (أبيـات الاستشهاد) من جهة إيراد المضارب والشواهد على لسان رجـل مـن الناس؛ فالفكرة فكرة ابن فارس، وهو أبو عُذْرتها، والفضل للمتقدم:

وهـو بسبقٍ حـائز تفـضيلا مـستوجبٌ ثنـائي الجمـيلا

وقد حرصت على ألا أكرر شيئاً من المضارب والشواهد التي أوردها ابن فارس، وإن كان هناك بعض التشابه في أصل المضارب أحياناً.

كما أنني لم أراعِ الترتيبَ الموضـوعيَّ للمـضارب، وإن كـان يـأتي أحياناً على شيء من المراعاة.

وبعد ذلك جاء الكتاب متـضمناً للدراسـة، والـشرح، والـذيل في مجلد لطيف، وقد حمل المسمى التالي:

(كتاب أبيات الاستشهاد للعلامة أحمد بن فارس اللغوي

دراسة وشرح ويليه ذيل أبيات الاستشهاد)

وبعد ذلك رغبت في إفراد ذلك الذيل في مؤلف خاص يكون كالدليل للكتاب الأصل؛ فكان هذا الكتاب الذي بين يديك حاملاً المسمى التالي:

التَّمَثُّلُ بالشعر

- ذيل أبيات الاستشهاد -

ولعل لي أسوةً ببعض العلماء الذين ذيلوا بعض الكتب، كصنيع الحافظ ابن رجب رحمه الله الذي ذيَّل كتاب (طبقات الحنابلة) لأبي يعلي.

قال ابن رجب رحمه الله في مقدمه كتابه الذيل على طبقات الحنابلة: «هذا كتاب جَمَعْتُه، وجعلته ذيلاً على كتاب (طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلي رحمه الله)»[1].

فصار كتاب الذيل من أحسن ما كتب في بابه[2].

ولما نظم القاضي تاج الدين بن السبكي رحمه الله سبعة وعشرين لفظاً من الألفاظ المُعَرَّبة في القرآن الكريم في أبيات - ذيَّل عليه الحافظ أبو الفضل ابن حجر رحمه الله بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظاً، ثم ذيَّل عليها السيوطي بالباقي، وهو بضع وستون، فتمت أكثر من مائة

---

١ - الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٥ .

٢ - قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : «كتاب طبقات الحنابلة كالطاووس أحسن ما فيه ذيله».

لفظة -كما يقول السيوطي رحمه الله-[1].

فأسأل الله -عز وجل- أن ينفع بذيل أبيات الاستشهاد كما نفع بأصله؛ إنه سميع قريب، وإلى تلك المضارب والشواهد، والله المستعان وعليه التكلان.

د. محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي: ص.ب: ٤٦٠
٥/ ١١/ ١٤٣١هـ
جامعة القصيم -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
www.toislam.net
alhamad@toislam.net

١ - انظر الإتقان للسيوطي ٢/ ١١٩ .

التمثل بالشعر
ذيل أبيات الاستشهاد

هذه مضارب، وتحت كل مضرب منها شاهد أو أكثر من الشعر، وهي على لسان رجل من الناس، ومما كان يستشهد ويتمثل به أنه:

١- كان إذا أوصى أحداً بالتَّقوى أنشد:

إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن   على أهله كلاً فقد كمل الفتى

أو أنشد:

وأحكمُ ألباب الرجالِ ذوو التقى   وكلُّ امرئٍ لا يتَّقِي الله أحمقُ

٢- وإذا قيل له: من السعيد حقاً أنشد:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ   ولكن التقيَّ هو السعيد

٣- وإذا حثَّ أحداً على مراقبة الله -عز وجل- قال:

وما أبصرت عيناي أجمل من فتى   يخاف مقام الله في الخلوات

٤- وإذا رأى ناسكاً مقبلاً على ربه، متلذذاً بعبادته أنشد:

كيف يرجو البقاءَ إن   فارق الماءَ حوتُه

٥- وإذا أملى على أُناسٍ، وأراد منهم الإسراع في الكتابة أنشد:

حدثنا شيخنا الكناني   عن أَبِهِ صاحب الخِطابهْ

أسرع أخا العلمِ في ثلاثٍ   في الأكل والشرب وفي الكتابهْ

٦- وإذا أعجبه إنسان شهم أنشد:

وأهوى من الفتيان كل سميذع نجيبٍ كصدرِ السمهري المقوّم
خطت تحته العيسُ الفلاة وخالطت به الخيل كُبّات الخميسِ العرمرم

٧- وإذا قيل له: هل سيذكرك أحدٌ، ويرثيك بعد موتك أنشد:

تسائلني هل في صحابك شاعرٌ إذا متُّ قال الشعر وهو حزينُ
فقلت لها: لا همَّ لي بعد موتتي سوى أن أرى أخراي كيف تكون
وما الشِّعر بالمغني فتيلاً عن امرئٍ يلاقي جزاءً والجزاءُ مُهين
وإن أحظَ بالرُّحْمَى فمالِيَ من هوىً سواها وأهواء النفوس شجونُ
فَخَلٍّ فعولن فاعلاتن تُقَال في أناسٍ لهم فوق التراب شؤون
وإن شئت تأبيني فدعوةُ ساجدٍ لها بين أحناء الضلوع حنينُ

٨- وإذا حث أحداً على طلب العلم قال:

اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل

وربما قال:

لا فخر في الدنيا لمن لم يفتخر بالعلم لولا الناب ذل الضيغم

٩- وإذا تذكر أحبته وَهُمْ على البعد أنشد:

عُمْرُه واصطبارُه في انتقاصٍ وَجَوَاهُ وَوَجْدُه في ازديادِ
في قرى مِصْرَ جسمُه والأصيحا بُ شآماً والقلبُ في أجيادِ

١٠ - وإذا تذكر مكاناً قضى فيه أياماً جميلة أنشد:

إني لأذكـــر أيامـــاً بِهـــا ولنـــا   في كـــل إشراق يـــوم قـــرة العـــين

أو أنشد:

فـــأين ليالينـــا وأســـمارُها التـــي   تبـــلُّ بهـــا عنـــد الظـــماءِ كبـــودُ

١١ - وإذا قدم شهر رمضان أنشد:

ســقياً لــشهر الــصوم مــن شــهر   عنــدي لــه مــا شــاء مــن شُــكْرِ

١٢ - وإذا انقضى شهر رمضان، وأقبل عيد الفطر أنشد:

مـــضى رمـــضان محمـــوداً وأوفى   علينـــا الفطـــرُ يَقْدُمُـــهُ الـــسرورُ

١٣ - وإذا شاهد أحداً يتطلع إلى ما عند غيره، وعنده أحسن منه أنشد:

وكم مـالئ عينيـه مـن شيء غـيره   إذا راح نحـو الجمـرةِ البـيضُ كالـدُّمى

١٤ - وإذا رأى إنساناً يرمي إلى أغراض سامية أنشد:

ونفاســـةُ الأشـــياء في غاياتهـــا   فاحمَـدْ رمـاءك إن أصـبت نفيـسا

١٥ - وإذا قيل له: رُدَّ على إساءة فلان بمثلها أنشد:

ويمنعنـــي مـــن ذاك نفـــسٌ عزيـــزةٌ   غلا سِـعْرُها في الـسوق يـومَ كـساده

وإني لأكـسو الخِـلَّ حُلَّـة سـندسٍ   إذا مـا كـساني مـن ثيـاب حـداده

١٦- وإذا أشار إلى أحدٍ إشارة خفية، ففهمها أنشد:

فأومــأتُ إيــماءً خَفِيــاً لِحبــتَرٍ فَلِلّــه عَيْنَــا حبــترٍ أيــما فتــى

١٧- وإذا أراد تسليةَ أحدٍ طال بلاؤه أنشد:

وراء مـضيقِ الخـوفِ مُتَّسع الأمـن وأولُ مفــروحٍ بــه غايــةُ الحــزنِ

ألم تَــرَ أن الله ملَّــك يوســفاً خزائنه بعـد الخـلاص مـن الـسجن

١٨- وإذا أشار على أحد بتركِ استعداءِ الناسِ، والبعد عن التعرضِ لهم أنشد:

ولم أرَ في الخطــوب أشــدَّ وقعــاً وكيــداً مــن معــاداة الرجــال

١٩- وإذا حثَّ على المداراة، وإحسان سياسة الناس، وأخذهم على ظواهرهم أنشد:

وحيِّ جميـع النـاس تَـسْبِ عقـولهم تحيتك الأدنى فقـد تـذهبُ النَّغـلْ

فإن أظهـروا بِـشراً فـأظهرْ جَـزاءه وإن ستروا عنك القبـيح فـلا تَـسَلْ

النغل: الإفساد بين القوم.

٢٠- وإذا رأى إنساناً مخاشناً، قليل المداراة أنشد:

ومــن لم يــصانعْ في أمــور كثــيرة يُــضَرَّسْ بأنيــابٍ ويوطــأ بمنــسم

٢١- وإذا شاهد قوماً يلومون أناساً، ولما يقوموا مقامهم قال:

أقلــوا علــيهم لا أبــا لأبــيكم من اللوم أو سُدُّوا المكـان الـذي سـدوا

٢٢- وإذا أراد توصية مُبتلىً ببلية أنشد:

ما ضاق بالمرء أمرٌ فاستعد له عبادة الله إلا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم إلا تزحزح عن الهم والحرج

أو قال:

والجأ لسيدك الذي لا تأتلي أبداً بفيض حنانه تتمتع
أوليس ما تشكوه بعض قضائه فعلام تجزع للقضاء وتهلع

٢٣- وإذا حدَّثته نفسه بأمر سوء أنشد:

وأقول للنفس احمليـ ـني فالشجاعةُ صبرُ ساعةْ

٢٤- وإذا أثنى على رجل يبتسم وهو في غاية الضيق أنشد:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حرِّه يتأوَّهُ

وربما قال:

تمر بك الأبطالُ كلمى هزيمةً ووجهك وضَّاحٌ وثغرك باسمُ

أو قال:

متبسمٌ في الخطب تحسب أنه تحت العجاج مُلَثَّمٌ بفعاله

أو أنشد:

وبيْ كلَّ ما يبكي العيونَ أقلَّه وإن كنت منه دائماً أتبسم

٢٥- وإذا أرسل إلى أحد أحبته على البعد كتب:

بَعُدْتَ ونفسي في لقاك تصيد فلم يُغْنِ عنها في الحنان قصيدُ
وخَلَّفت ما بين الجوانح غصة لها بين أحشاء الضلوع وقودُ

أو قال:

كتبتُ ولو قدرتُ هوىً وشوقاً إليك لكنتُ سطراً في الكتاب

٢٦- وإذا تاق إلى صديق غائب عنه أنشد:

فإن يك عن لقائك غاب وجهي فلم تَغِبِ المودةُ والإخاء

ولم يغبِ الثناءُ عليك مني بظهر الغيب يتبعه الدعاء

وما زالت تتوق إليك نفسي على الحالات يحدوها الوفاء

وربما قال:

شوقاً إليك تفيضُ منه الأدمع وجوىً عليك تضيق عنه الأضلع

٢٧- وإذا خلا المكان من أحبته لسفر، أو نحوه أنشد:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ

أو أنشد:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزوَّدوك اشتياقاً أيَّةَ سلكوا

أو أنشد:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم إذا غبتمُ عنها ونحن حضور

٢٨- وإذا رأى شخصاً يَحْسُدُ، ويسيء إلى من يحسن إليه أنشد:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

٢٩- وإذا توفي عزيز لديه قال:

قد كـدت أقضي حسـرة لـو لم أكـن   متوقعـاً لقيـاك يـوم معـادي

٣٠- وإذا رأى أحداً يبكي على مصيبة حلَّت به أنشد:

لعل انحـدار الـدمع يعقـب راحـة   من الوجـد أو يـشفي نَجِـيَّ البلابـل

أو أنشد:

وإن شـفائي عـبرةٌ مُهَرَاقَـةٌ   وهل عنـد رسـمٍ دارسٍ مـن مُعَـوَّلِ

٣١- وإذا قيل له: إن فلاناً قصد فلاناً ولم يسعفه أنشد:

وإذا قـصدتَ لحاجـةٍ   فاقـصد لمعـترفٍ بفـضلك

٣٢- وإذا رأى أو سمع أن أحداً غضب على أحدٍ؛ لأنه لم يعطِه ما سأله أنشد:

لا تغـضبنَّ عـلى امـرئٍ   لـك مـانعٌ مـا في يديـه

واغضب على الطمـع الـذي اسـ   ـتدعاك تطلـب مـا لديـه

٣٣- وإذا زار أحبةً له، وجلس إليهم، ثم ودعهم، وفي نفسه أشواق، ورغبة في المكث عندهم أنشد:

تـزودت مـن لـيلى بتكلـيمِ سـاعة   فـما زاد إلا ضـعفَ مـا بي كلامُهـا[1]

١- في يوم من الأيام ذهبت بصحبة بعض أهل العلم لزيارة الشيخ العلامة حماد الأنصاري رحمه الله في المدينة ولم يكن يعرف أحداً منا، فجلسنا عنده من بعد العصر حتى أذان المغرب، وكانت جلسة ماتعة رائعة، فلما هممنا بتوديعه قلت له: لقد أثقلنا عليك، وما حالنا إلا كما قال الأول:

تزودت من ليلى بتكليم ساعة   فما زاد إلا ضعف مابي كلامها

فطرب رحمه الله وقال: إذاً نكمل الجلسة بعد المغرب، فجلسنا حتى أذان العشاء.

٣٤- وإذا أمَّل بلقاء مطول عند أحد أحبته، ولم يتيسر له إلا لقاءٌ خاطف أنشد:

وقنعت باللقيا وأول نظرةٍ إن القليل من المحبِّ كثير

٣٥- وإذا تغرب، ونزل ضيفاً على أناس، وأقام بينهم مدة، ورأى من إكرامهم، وحفاوتهم الشيء الكثير أنشد:

نزلتُ على آل المهلبِّ شاتياً غريباً عن الأوطانِ في بلدٍ مَحْلِ
فما زال بي إكرامهم وافتقادهمْ وبرُّهُمُ حتى حسبتهمُ أهلي

أو أنشد:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل والأوطان

٣٦- وإذا كان في بلد غربة، وسمع نَوْحَ حمامة، أو تذكر أهله، وأولاده أنشد:

وأرقني بالرَّيِّ نوح حمامة فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ القَريح يَنُوحُ
على أنها ناحت ولم تَذْرُ عَبْرَةً وَنُحْتُ وأسرابُ الدُّموعِ سُفُوحُ
وناحت وفرْخَاها بِحيثُ تراهما ومن دُونِ أفراخِي مَهَامِهُ فِيحُ

٣٧- وإذا قدم صاحب له من سفر أنشد:

قدوم سعادة وقفول يُمْنٍ هي السراء تمحق كل حزن
أظلتك السلامةُ ما تغنت مُطوقةٌ على فنن تغني

المطوقة: الحمامة.

٣٨- وإذا زاره أحد أحبته بعد فراق طويل، وشوق إلى اللقاء، ثم همَّ ذلك الزائر بالانصراف، أو صار ينظر إلى الساعة بين الفينة والأخرى أنشد:

تنظر الساعة من حين لحين ليت شعري ما الذي يستعجلكْ
إن هذا الوصل أحلام سنين فاتقِ الله ودع ما يشغلُكْ

٣٩- وإذا تقوَّل عليه متقولٌ ما ليس فيه أنشد:

لي حيلة فيمن يَنِمُّ وليس في الكذاب حيلةْ
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلةْ

٤٠- وإذا أساء إليه شخص، وهو مُعْرِضٌ عنه، وقيل له في ذلك أنشد:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

٤١- وإذا رأى كبيراً يفرح الناس بمقدمه أنشد:

يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تُكْفَرُ

٤٢- وإذا رأى عظيم قَدْرٍ قَدِم إلى بلد، وترتب على قدومه خير كثير متنوع أنشد:

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سال النُّضار بها وقام الماء

النضار: الذهب

٤٣- وإذا قيل له: فلان يحسد فلاناً الفاضلَ، وينتقصه أنشد:

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب

٤٤- وإذا رأى ذا شهرة واسعة، أو سمع بمن يريد إخمال ذا صيت أنشد:

أغــرُّ شــهيرٌ في الــبلاد كأنــه   به البدر يعلو أو سنا الصبحِ يسطع

أو أنشد على لسان ذلك الشهير:

إني إذا خفــي الرجــال وجــدتني   كالـشمس لا تخفـى بكـل مكـانِ

٤٥- وإذا رأى نُذُر الفتنة بدأت، وأراد توصية أطرافها بتداركها أنشد:

وإن النــار بــالعودين تُــذكى   وإن الحــرب مبــدؤها كــلامُ

وربما قال:

ولقــد رأيــت الــشرَّ بيــ   ـن الحــيِّ تبــدؤه صــغارُه
ولــو آنهــم يأســونه   لَتَنهْنَهَــتْ عــنهم كبــارُه

أو أنشد:

والـشرُّ كالنـار تبـدو حـين تَقْدُمُـهُ   شرارةٌ فــإذا بادرتــه خمــدا

٤٦- وإذا حذر من عواقب مقابلة الشر بمثله، ورَغَّب بمقابلة الإساءة بالإحسان أنشد:

إذا دُفــع الــشر القبــيح بمثلــه   تحــصَّل شرٌّ ثابــت وتولــدا
وأمست دواعـي الـشر ذاتَ تسلـسلٍ   مديدٍ وصـار الـشر في النـاس سرمـدا

٤٧- وإذا دبَّ خلاف في بيت أو جماعة، ورغب إلى أحدٍ منهم في رأب الصدع أنشد:

إذا اشتعلت في البيت نارٌ ولم يكن لها مطفئ لم يلبثِ البيتُ أن يقعْ

٤٨- وإذا رأى أناساً يهوون الشر، ويميلون إليه كل الميل أنشد:

يطيعون الغواةَ وكان شراً لمؤتمر الغواية أن يطاعا

٤٩- وإذا رأى أناساً يسمعون الشر، فيذيعونه، ويسمعون الخير؛ فيطوونه أنشد:

الخير يُهمسُ بينهم ويقام للسوآت منبرْ

أو أنشد:

أعوذ بالله من قوم إذا سمعوا خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

أو أنشد:

إن يسمعوا سُبةً طاروا بها فرحاً عني وما سمعوا من صالح دفنوا

٥٠- وإذا رأى قوماً يتنازعون على الرئاسة دون تدبرٍ للعواقب، ونظرٍ في المصالح العامة أنشد:

إن التنازع في الرئاسة زَلَّةٌ لا تستقال ودعوة لم تُنْصَرِ

أفنى أوائل جُرْهمٍ إفراطُهم فيه وأَسْرَعَ في مَقاولِ حميرِ

٥١- وإذا رأى إنساناً يحرص على تتبع العورات، ونشر المثالب أنشد:

وأجرؤ من رأيت بظهر غيب على نشر العيوب ذوو العيوب

٥٢- وإذا رأى قرناءَ سوءٍ يركن بعضهم إلى بعض، ويألف بعضهم بعضاً أنشد:

وكلُّ قرينٍ إلى شكله كأنس الخنافس بالعقرب

٥٣- وإذا أراد مغادرة بَلَدِه، وودَّع أصحابه، وأحبابه أنشد:

قفا ودِّعا نجداً ومن حلَّ بالحمى وقلَّ لنجد عندنا أن يودعا

٥٤- وإذا جاوز بلده لسفر أنشد:

فتلفتت عيني فَمُذْ خَفِيَتْ عني الطَّلول تَلَفَّت القَلْبُ

٥٥- وإذا كتب لبعض أحبابه، ورأى أنه لم يوفِّهم حَقَّهم كتب:

وإذا ما قصَّرت أقلامُنا عن حقوقٍ للأخلاء كبار

فالذي قد حلَّ بالصدر من الـ ـودِّ يكفي عن كثير الإعتذار

٥٦- وإذا أوصى أناساً بالاجتماع، ونبذ الفرقة أنشد:

إن الرماح إذا اجتمعن فَرَامها بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبَطْش أَيِّدِ

عَزَّت ولم تُكْسَرْ وإن هي بُدِّدت فالوهنُ والتكسيرُ للمُتَبَدِّدِ

أو أنشد:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

٥٧- وإذا رأى كبيراً غَضِبَ على قوم، وهو قادر عن إنزال غضبه عليهم، ورغب في إسكات غضب ذلك الكبير أنشد:

تَرَفَّق أيها المولى عليهم فإن الرفقَ بالجاني عتابُ

٥٨- وإذا بُلي بإنسان لا يطاق، ولا مناص له منه أنشد:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بدُّ

٥٩- وإذا رأى شخصاً يُمدح بما ليس فيه أنشد:

كالعطر يَعْبِقُ في المجالس نشره ... والفضل منسوبٌ إلى المتعطر

٦٠- وإذا رأى رجلاً يريد المحمدة، وهو لم يُعَنِّ نفسه أنشد:

والحمدُ لا يشترى إلا له ثمن ... مما يَضَنَّ به الأقوام معلوم

أو أنشد:

ومن يعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمدِ

أو أنشد:

ولا يُشترى الحمدُ أُمْنِيَّةً ... ولا يُشترى الحمدُ بالمُقْصِرِ

المُقْصِر: الشيء الدُّون اليسير.

أو أنشد:

والحمدُ شَهْدٌ لا ترى مشتارَه ... يجنيه إلا من نقيع الحنظلِ

غُلّ لحامله ويحسبه الذي ... لم يُوْهِ عاتِقَه خفيف المحملِ

٦١- وإذا رأى إنساناً غُلِب على أمره في شأن لا حيلة له فيه، وهو يبالغ في التعزز والعناد أنشد:

بُنيَّ إذا ما سامك الضيمَ قاهرٌ ... مَقيتٌ فبعضُ الذلِّ أوقى وأحْرَزُ

ولا تَحْم من بعض الأمور تعززاً ... فقد يورث الذُّلَّ الطويلَ التعزُّزُ

٦٢- وإذا غاب عن مسقط رأسه أنشد:

قلبي يحنُّ إلى الزلفي وساكنها وما حنيني إلى الأحباب ملكُ يدي

٦٣- وإذا رأى إنساناً لا يميز الصحيح من الزيوف أنشد:

مازَكَى تفاحُ لبنانَ على حَسَكِ السعدان في ذوق مَذِرْ
هكذا في نظر الأعشى استوى زهرُ روضٍ وهشيم المُحْتَظِرْ

٦٤- وإذا رأى رجلاً فاق مَنْ قبله في أمرٍ ما، وأراد التنويه به أنشد:

طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

٦٥- وإذا أشار على أحد بألا يحقر الفائدة من أي أحد أنشد:

فاضْمُمْ أقاصيَهُمْ إليك فإنه لا يزخر الوادي بغير شعاب

٦٦- وإذا رأى مدخناً، وله دالَّةٌ عليه أنشد:

وبفضل جهدك قد غدوت لصانعي تلك السموم السود خير معين

٦٧- وإذا رأى شاباً يترقى في المكارم، ويتدرج في العلم، والمروءات أنشد:

إن الهلال إذا رأيتَ نُموَّه أيقنت أن سيكونُ بدراً كاملا

أو أنشد:

متنقل من سؤددٍ في سؤددٍ مثل الهلال جرى إلى استكماله

٦٨- وإذا رأى شاباً حاز الفضائل، ورأى من لا يعتد به؛ لصغر سنه أنشد:

لا تنظرنَّ إلى الفيَّاض في صِغَرٍ في السن وانظر إلى المجد الذي شادا
إن النجومَ نجومَ الليل أصغرُها في العين أبعدُها في الجو إصعادا

٦٩- وإذا رأى شاباً، حليماً، وقوراً، عاقلاً أنشد:

فما الحداثة من حلم بمانعة قدْ يوجد الحلمُ في الشبان والشيب

٧٠- وإذا رأى ذا خفة وطيش، وكثرةِ حركةٍ، واضطرابٍ والتفاتٍ أنشد:

كأنك من جمال بني أقيشٍ يقعقع بين رجليه بِشَنٍّ

بنو أقيش: الجن.

٧١- وإذا رأى كبيرَ سنٍّ يقوم بتثاقل أنشد:

وإذا الشيخ قال:أفٍّ فما ملَّ حياةً وإنما الضعفَ ملا

٧٢- وإذا رأى كبير سن قد احدودب ظهره، وتقوَّس، وتقاربت خطاه أنشد:

حَنَتْنِي حانياتُ الدهر حتى كأني خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريبُ الخطوِ يحسب من رآني ولست مقيداً أمشي بقيد

٧٣- وإذا تذكر أيام الحج أنشد:

أيا عذبات البان من أيمن الحمى رعى الله عيشاً في رباك قطعناه

أو أنشد:

إن يكن قلبُك الغداةَ خلياً ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعارا

٧٤- وإذا رأى ما حلَّ ببعض المسلمين من الأذى والذل أنشد:

كأن لم يكونوا حِمىً يُختشى إذِ الناس إذ ذاك من عَزَّ بزَّا

أو أنشد:

فبينا نسوس الناسَ والأمْرُ أمْرُنا إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نتنصف

٧٥- وإذا تذكر عَدْلَ المسلمين أيامَ عزِّهم، وظلمَ غيرهم أنشد:

ملكنا فكان العدلُ منا سجيةً فلما ملكتُمْ سال بالدَّمِ أبْطحُ

٧٦- وإذا حثَّ أحداً على التنعم بما في يده من النعم الحاضرة، وتَرْكِ ما تتطلع إليه نفسه من المنى الدنيوية التي قد تكون كاذبة أنشد:

خذ ما أتاك ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

٧٧- وإذا رأى إنساناً يسترسل مع أمانيه دون سعي إلى تحقيقها أنشد:

من كان مرعى عزمه وهمومه روضَ الأمانيْ لم يزل مهزولا

وربما أنشد:

إذا تمنيت بتَّ الليل مغتبطاً إن المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

٧٨- وإذا رأى إنساناً ضيِّق الخيال، لا يتمنى، ولا يتطلع إلى شيء يُروِّح به عن نفسه أنشد:

حَرِّك مناك إذا اغْتممتَ فإنهن مراوحُ

أو أنشد:

إذا ازدحمت همومي في فؤادي   طلبت لها المخارج بالتمني

٧٩- وإذا رأى جاهلاً لا يقبل النصح أنشد:

والغُمْرُ يأبى أن يَطُوعَ لفاصد   ينفي دماً من راهِشَيْهِ خسيسا

٨٠- وإذا رأى شهماً ذا همة وروية أنشد:

والشهم من عانى الخطوب وراضها   فغدت أرقَّ من النسيم مسيسا

وربما أنشد:

وإذا الرَّويَّة أيقظت عزم الفتى   ملأت معاليه الفِخَامُ طروسا

٨١- وإذا رأى رجلاً معتدلاً في سرائِهِ وضرائِهِ أنشد:

إذا مسَّهُ الشرُّ لم يكتَئِبْ   وإنْ مسَّهُ الخيرُ لم يُعْجَبِ

أو أنشد:

ولست بمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّني   ولا جازعٍ من صِرْفِه المتَقَلِّبِ

أو أنشد:

كُلاًّ بلوتُ فلا النعماء تُبْطرني   ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائها جَزَعا

٨٢- وإذا أقلقه أمر لا بد له منه أنشد:

على أي شيء يصعب الأمرُ قد ترى ... بعينك أن لا بد أنك راكبه

٨٣- وإذا رأى طالباً كسولاً قال:

غير أن الكسول في كل يوم ... يجد اليومَ كله أهوالا

ويرى الكُتْبَ والدفاتر والأقـ ... ـلام والدرس كلَّها أحمالا

من يَقُمْ بالأمور بالجِدِّ يهنا ... والشَّقا للذين (قاموا كسالى)

٨٤- وإذا رأى موظفاً أو طالباً يتأخر عن عمله أنشد:

بَكِّرا صاحبيَّ قَبْلَ الهجيرِ ... إن ذاك النجاحَ في التبكيرِ

٨٥- وإذا رأى أحداً يفتخر بأسلافه، وهو لم يفعل فعلهم أنشد:

إذا العودُ لم يثمر وإن كان شُعبةً ... من المثمرات اعتَدَّه الناس في الحَطَبْ

أو أنشد:

لا عذرَ للشجر الذي طابت له ... أعراقُه أن لا يطيب جناه

٨٦- وإذا أراد تنبيه مبتلىً بمصيبة أنشد:

كم نعمة لا تستقل بشكرها ... لله في طيِّ المكارهِ كامنه

٨٧- وإذا قيل له: إن فلاناً يغتابك أنشد:

وأُكْبِرُ نفسي عن جزاء بغيبة ... وكلُّ اغتيابٍ جهدُ مَنْ ما له جُهد

٨٨- وإذا لقي أحداً من أهل دمشق أنشد:

سلام من صَبا بردى أرقُّ ... ودمعٌ لا يكفكف يا دمشق

٨٩- وإذا زاره أحدٌ من أهل اليمن أنشد:

بـالله قـولي لـه مـن غـير معتبـة ماذا أردت بطـول المكـث في الـيمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمـت بهـا فما وجـدت بـترك الحـج مـن ثمـن

٩٠- وإذا رأى إنساناً يتكلف غير طبعه أنشد:

ومن يبتدعْ خُلْقاً سوى خُلْقِ نفسه يَدَعْـهُ وترجِعْـهُ إليـه الرواجـعُ

وربما قال:

وأسرعُ مفعـولٍ فعلـت تغـيراً تكَلُّـفُ شيءٍ مـن طباعـك ضِـدُّه

٩١- وإذا رأى إنساناً ينطلق على سجيته المحمودة دون تكلف، أو تصنع أنشد:

ومـا الحـليُ إلا حيلـةٌ مـن نقيـصةٍ تُتَمِّمُ مـن حـسنٍ إذا الحـسن قـصَّرا
وأمـا إذا كـان الجـمال مـوفراً كحـسنك لم يَحْـتجْ إلى أن يـزوَّرا

٩٢- وإذا رأى إنساناً يرفع صوته في المحاورة أو الخصومة أنشد:

لا ترفعنْ صـوتَك يـا عَبْـد الـصمد إن الـصواب في الأَسَـدِّ لا الأشَـدِّ

٩٣- وإذا رأى أناساً مختلفين في الآراء، ولم يسلكوا أدب الاختلاف أنشد:

وإذا الخـصمان لم يهتـديا سـنةَ البحـث عـن الحـق غـبر

٩٤- وإذا شهد أناساً يتجاذبون الآراء بأدب، وسموٍّ أنشد:

يحلو النضالُ ولا نضال ألذُّ مِنْ   تَنْقادِ آراءٍ بغير خصام
والرأي يَخْلُصُ بالنقاش الحُرِّ مِنْ   صدإِ الخمولِ ولُبْسَةِ الإبهام
هي كالسحائب هذه وطْفاءُ إن   مرَّت وتلك تَمُرُّ مَرَّ جهام
وجآذر الأفكار لا تَرِدُ الحِمى   مالم تُسَسْ برويةٍ ونظام

٩٥- وإذا رأى إنساناً يبدي آراءه بشجاعة ولباقة أنشد:

إن الشجاعة في الرجال مراتب   وأجلهن شجاعة الآراء

٩٦- وإذا رأى شجاعاً عاقلاً أنشد:

وكل شجاعة في المرء تُغْني   ولا مثل الشجاعة في الحكيم

أو أنشد:

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مِرَّةٍ   بلغت من العلياء كل مكان

أو أنشد:

إن الشجاعة في الرجال كثيرة   ورأيت شجعان العقول قليلا

٩٧- وإذا رأى جاهلاً متجاسراً على الشريعة، متطاولاً على أحكامها أنشد:

هي فِطْرَةُ الخلَّاق كالمرآة لا   تلقى بها عِوَجاً ولا تدنيسا
تزدادُ يُمناً ما اتقيت فإن دنا   منها الخَنَا عَادَتْ عليك بَسوسا

٩٨- وإذا سمع أحداً يُقَدِّمُ العقلَ على النقل أنشد:

يعـترض العقـلُ عـلى خـالقٍ   مـن بعـض مخلوقاتِـهِ العقـلُ

٩٩- وإذا سمع أو قرأ عن البحث في ماهية العقل، وكثرة الاختلاف في ذلك أنشد:

سَلِ الناسَ إن كانوا لـديك أفاضـلاً   عن العقل وانظر هل جواب مُحَصَّلُ

١٠٠- وإذا سمع أو قرأ عن الخوض في الروح، وعن خرافة تحضير الأرواح أنشد:

لا تَـسْمَعَنْ لعـصابة الأرواح مـا   قـالوا بباطـل علمـه وكِذابـه

الـروح للـرحمن جـل جلالـه   هـي مـن ضَـنائن علمـه وغيابـه

ضنائن علمه: خصائص علمه مما اختص به -سبحانه- نفسه؛ فلا يعلم به سواه، وغيابه: أي غيبه -عز وجل-.

١٠١- وإذا مات إنسانٌ، وخلَّف علماً نافعاً، أو ذكراً حسناً أنشد:

ذكـر الفتـى عمـره الثـاني وحاجتـه   مـا قاتـه وفـضولُ العـيشِ أشـغال

أو أنشد:

عمـر الفتـى ذكـره لا طـولُ مُدَّتِـهِ   وموتُـه خزيُـه لا يومُـه الـداني

فـأحيي نفـسك بالإحـسان تزرعـه   تُجْمَـع بـه لـك في الـدنيا حياتـانِ

أو أنشد:

وإنــما المــرءُ حــديث بعــده فكــن حـديثاً حـسناً لمـن وعــى

١٠٢- وإذا شاهد جمال الربيع أنشد:

رقّت حـواشي الـدهر فهـي تمرْمَـرُ وغـدا الثـرى في حَلْيِـهِ يتكـسر

وربما قال:

أتاك الربيع الطلق يختـال ضـاحكاً مـن الحـسن حتـى كـاد أن يـتكلما

١٠٣- وإذا أوصى رجلاً بعلو الهمة أنشد:

فكــن رَجُــلاً رِجْلــه في الثـرى وهامــــة همتــــه في الثريـــــا

ولربما أنشد:

ومن كان ذا نفسٍ ترى الأرض جولة فــلا بــدَّ يومــاً للــسموات يرتقــي

أو أنشد:

إذا مــا عـــلا المـــرءُ رام العـــلا ويقنــع بالــدون مــن كــان دونــا

١٠٤- وإذا رأى رجلاً مسترسلاً مع شهواته أنشد:

ومَـنْ يطعـمِ الـنفسَ مـا تـشتهي كَمَنْ يطعـمُ النـارَ جَـزْلَ الحطـبْ

وربما قال:

كــالحوت لا يرويــه شيءٌ يَلْهَمُــهْ يــصبح ظمــآنَ وفي المــاء فَمُــهْ

أو أنشد:

ولله في عــرض الــسموات جنــةٌ ولكنهــا محفوفــةٌ بالمكــارهِ

١٠٥- وإذا رأى شَرِهاً متكالباً على الدنيا غير راض بما يتيسر له من متاعها أنشد:

تُنَافِسُ في طيب الطعام وكُلُّهُ سواءٌ إذا ما جاوز اللهواتِ

أو أنشد:

مُلْكُ كسرى عنه تغني كسرةٌ وعن البحر اجتزاء بالوشل

أو أنشد:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس فَعَلامَ تكثُرُ حسرتي ووساوسي

١٠٦- وإذا كاتب أخاً له في الغربة، وأراد إخباره أنه باقٍ على العهد أنشد:

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيِّرنا أن طالما غَيَّر النأيُ المحبينا

أو أنشد:

إذا غيَّر النأي المحبين لم يَكَدْ رسيس الهوى من حبِّ مَيَّةَ يبرحُ

١٠٧- وإذا هبَّ نسيم الصبا، وتذكر أحبته البعيدين عن عينه أنشد:

ويا نسيمَ الصبا بلِّغ تحيتَنا مَنْ لَوْ على البُعد حَيًّا كان يُحْيِيْنا

أو أنشد:

هَبَّت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم إلى الصفاة التي شرقي حورانا

١٠٨- وإذا قال له أحدٌ: إنني مشتاق إلى زيارتك، وما يمنعني

عنها إلا الشغل أنشد:

ومـا أنـا ممـن يـدَّعي الـشوقَ قَلْبُـه ويحـتج في تـرك الزيـارة بالـشغل

١٠٩- وإذا أوصى أحداً بحاجة، وكررها عليه، ثم نسي المُوْصَى ما طُلِب منه أنشد:

وأكثـر نـسياني لمـا لا يهمنـي وإني لمـا أُعنـى بـه لَـذَكورُ

١١٠- وإذا شاهد أحمق الطبع لا يعرف ما يضره مما ينفعه أنشد:

لكـل داءٍ دواء يـستطب بـه إلا الحماقـةَ أعيـت مـن يـداويها

وربما أنشد:

ومن البليـة عـذلُ مـن لا يرعـوي عـن غيِّـه وخطـاب مـن لا يفهـم

١١١- وإذا قيل: له نراك تغض الطرف عن كثير من الأمور أنشد:

أغمـض عينـي عـن أمـور كثـيرة وإني عـلى تـرك الغمـوض قـدير

وما من عمى أغـضي ولكـن لـربما تعامى وأغـضى المـرء وهـو بـصير

١١٢- وإذا شكا إليه أحدٌ ما يلاقيه من إساءة وكنود، وأراد تصبيره أنشد:

يـا مـن تـضايقه الفعـا ل مـن الـذي ومـن التـي

ادفـع فـديتك بـالتي حتـى تـرى فـإذا الـذي

١١٣- وإذا رأى أحداً يسعى لعزِّ أناسٍ ومصلحتهم، وهم

يسعون لِحطَّتِه وضرره أنشد:

أريـــد حياتـــه ويريـــد قـــتلي عــذيرُك مــن خليلــك مــن مــرادِ

أو أنشد:

أهوى بقـاءهمُ جهـدي وأكثـر مـا يهوون أن أغتدي في حفـرة الـتربِ

أو أنشد:

فما بـال مـن أسـعى لأجـبرَ كـسرَهُ حفاظاً ويهوى من سفاهتِه كـسري

١١٤- وإذا قيل له: إن فلاناً لا يزال عاتباً زارياً على أصحابه دون سبب مع سعيهم لإرضائه أنشد:

شرُّ الأخـلاء مـن تـسعى لترضـيَهُ ولا يـزال عليـك الـدهرَ غـضبانا

١١٥- وإذا أوصى إنساناً بالمحافظة على صديقه، ومياسرته، وإحسان سياسته، وقبوله على علاته، وبيَّن له أن ذلك أمارةُ نباوةِ الشأن، وكمالِ العقل، وكِبَرِ النفس أنشد:

احفـــظ أخـــاك وإن تبـــيَّن أنـــه بـــاليْ الـــودادِ ضـــعيفُه مُختلَـــهُ

فـالبُرْدُ يكفيـك العيـونَ دريـسُه والعـضو ينفـع في الخطـوب أشـلُّهُ

البرد: الثوب، والدريس: الثوب الخَلِق.

١١٦- وإذا بدرت جفوةٌ من صديق، وحدَّثته نفسُه بصرمِه ولكنه تأنَّى، وجعل فرصة للوفاق أنشد:

جفا الصديقُ فناجيت الفؤادَ بأن ... يبيت في جفوة تلقاء جفوته

أبى وقال أصون العهد متئداً ... فَرُبَّ ودٍّ صفا من بعد غُبرتهِ

عاد الصديق فأصفى ودَّه فإذا ... حديث نجواي منسوخٌ برُمَّتِهِ

إن تلقَ طبعاً رقيقاً فاغرسنَّ به ... مودَّةً يُسقِها من ماء رقته

١١٧ - وإذا رأى رجلاً ذا مروءة، وتكرم، وتحمُّل للناس أنشد:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذَّ له الغرامُ

١١٨ - وإذا شكا إليه أحدٌ ما يلقاه في سبيل العلم والمكارم أنشد:

دون الحلاوة في الزمان مرارةٌ ... لا تُخْتَطى إلا على أهواله

أو أنشد:

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولابد دون الشَّهدِ من إبر النحلِ

١١٩ - وإذا رأى رجلاً لا يزن كلامه أنشد:

وإن كلام المرء في غير كنهه ... لكا النبل تهوي ليس فيها نصالها

أو أنشد:

وإن لسانَ المرءِ ما لم تكن له ... حصاةٌ على عوراته لَدليلُ

أو قال:

رأيت اللسان على أهله ... إذا ساسه الجهل ليثاً مُغيرا

١٢٠- وإذا رأى إنساناً ثرثاراً، كثير السقط أنشد:

هِـذريانٌ هَـذِرٌ هَـذَّارةٌ   موشك السَّقْطة ذو لبٍّ نَثِرْ

الهذر: الكلام الكثير، والنَّثِر: المتساقط.

١٢١- وإذا قيل له: فلان يحسن الحديث، ويتفنن في طرحه، ويغري باستماعه ولو كان حديثه مكروراً أنشد:

يعاد حديثه فيزيد حسناً   وقد يُستقبح الشيءُ المعادُ

أو أنشد:

سبحان ربي تبارك الله ما   أشبهَ بعض الكلام بالعسلِ

١٢٢- وإذا أراد المقارنة بين متحدث بارع يأخذ بالألباب، وآخرَ يلغو بكلام فارغ ثقيل على المخاطبين أنشد:

من الناس من لفظُه لؤلؤ   يبادره اللفظ إذ يلفظُ

وبعضهمُ قوله كالحصى   يقال فَيُلغى ولا يُحْفَظُ

١٢٣- وإذا رأى إنساناً يسيء إلى صاحبه، ولا يراعي مشاعر جلسائه؛ بحجة المزاح أنشد:

لي صاحبٌ ليس يخلو   لسانه من جراحِ

يجيد تمزيق عرضي   على سبيل المزاح

أو أنشد:

أفي كلِّ يومِ أنت قائلُ سوءةٍ   تسوء بها وجهي كأنك مازح

١٢٤- وإذا سمع بولدٍ لم يكن كما أمَّل به أهله أنشد:

ولـــربَّ أمٍّ أمَّلـــت في طفلهـــا هِمَـمَ الملـوك فقـام يحـدو العيـسا

أو أنشد:

كــــم حـــسرةٍ لي في الحـــشا مـــــن ولـــــد إذا نَـــــشا
وكـــــم أردت رشـــــده فـــما نَـــشَا كَـــما نَـــشا

١٢٥- وإذا كثر سفره في بعض الأحيان أنشد:

أكـــلَّ الـــدهر حَـــلٌّ وارتحـــال أَمَـــا يبقـــي عـــلي ولا يقينـــي

١٢٦- وإذا قيل له: فلان يُسَاءُ إليه، ويُحْسِن إلى من أساء أنشد:

يجنـي عـليَّ وأحنـو صـافحاً أبـداً لا شيء أحسن من حانٍ عـلى جـانِ

١٢٧- وإذا رأى عاقلاً غضب على أمر يستحق الغضب، وليم على ذلك، وأراد أن يسوغ فعل ذلك العاقل أنشد:

عجبـوا لِحلمـك أن تحـوَّل سـطوةً وزُلال خُلْقِكَ كيـف عـاد مكـدراً
لا تعجبـــوا مـــن رقـــة وقـــساوةٍ فالنار تقدح مـن قـضيب أخـضرا

وربما أنشد:

إذا قيل رفقـاً قـال للحلـم موضـعٌ وحلم الفتى في غير موضعه جهـل

١٢٨- وإذا رأى متجاهلاً يَتَسَفَّه، ويسيء كلما حُلِمَ عليه، ثم قوبل بالحزم والحسم أنشد:

والجهل إن تلْقه بالحلم ضُـقْتَ بـه ذرعـاً وإن تلقـه بالجهـل ينحـسم

أو أنشد:

ولا خـير في حلـم إذا لم تكـن لـه بـوادِرُ تحمـي صـفوه أن يكـدرا

١٢٩- وإذا أراد أن يبين حاجة الحليم إلى السفيه الذي يردُّ عنه بعض الجهل أنشد:

لابـد للسّيد مـن أرمـاح ومـن عديـدٍ يُتَّقـى بـالراح

ومـن سـفيه دائـم النبـاح

١٣٠- وإذا نزل ببلدة لا يعرف فيها أحداً قال:

شر الـبلاد بـلاد لا صـديق بهـا وشَرُّ ما يكسب الإنسان مـا يَـصِمُ

١٣١- وإذا مر ببلدة أو مَحِلَّة، وله فيها أحباب وأصحاب أنشد:

أسـكانَ نعـمانَ الأراكِ تيقنـوا بـأنكمُ في رَبْـعِ قلبـيَ سـكانُ

١٣٢- وإذا عاد من سفر أنشد:

وألقت عصاها واستقر بهـا النـوى كـما قَـرَّ عينـاً بالإيـاب المـسافرُ

١٣٣- وإذا رأى إنساناً يكثر من زيارة أناس، وشعر منهم ملالة منه أنشد:

عليـك بـإقلال الزيـارة إنهـا تكون متى دامت إلى الهجر مـسلكا

فـإني رأيـت القطـر يُـسأم دائبـاً ويطلـب بالأيـدي إذا هـو أمـسكا

١٣٤- وإذا قيل له: نراك تقلل من الزيارة أنشد:

وأغببت الزيارة لا ملالاً ولكن من محاذرة المِلالِ

أو أنشد:

من أكثر الغِشْيان خس قدرُه لو كثر الياقوت هان أمره

١٣٥- وإذا قيل له: تركت زيارة فلان مع مواصلتك إياه آنفاً أنشد:

إني كثرتُ عليه في زيارته فملَّ والشيء مملول إذا كثرا

قد رابني منه أني لا أزال أرى في عَيْنِه قِصَراً عني إذا نظرا

١٣٦- وإذا قال له أحد أحبته: أخشى أن تَمَلَّني من كثرة زيارتي إياك أنشد:

ولو واصلتني في كل يوم إلى يوم القيامة ما كفاني

أو أنشد:

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

١٣٧- وإذا شاهد كبير قومٍ حليم أنشد:

لقد كان أما حِلمُه فَمُروِّحٌ علينا وأما جهلُه فعزيب

١٣٨- وإذا رأى رجلاً يرعى مصالح قومه، ويقوم بحقوق الكبار

والصغار أنشد:

ولم يكن أحدٌ يلهيه عن أحدٍ   كأنه والدٌ والناس أطفال

وربما أنشد:

فكنتَ لناشيهم أباً ولِكَهْلِهم   أخاً ولذي التقويسِ والكَبْرةِ ابنما

ذو التقويس والكَبْرة: هو كبير السن الذي تقوس ظهره من الكِبَر.

أو أنشد:

وكنت لهم عَمّاً لطيفاً ووالداً   رؤوفاً وأماً مَهّدتْ فأنامتِ

١٣٩- وإذا رأى إنساناً ساقطاً لا يعجبه صنيعٌ حَسَنٌ أنشد:

وما على العنبر الفواح من حرج   أنْ مات مِنْ شمِّه الزبَّال والجُعَل

١٤٠- وإذا بدت جبال بلده تلوح أمامه وهو قادم من سفر أنشد:

فأجهشت للتوباد حين رأيته   وكَبَّر للرحمن حين رآني

١٤١- وإذا رأى كريماً لا ينبعث لإسعاف ذوي الحاجات إلا إذا عوتب وحُرِّك للعطاء أنشد:

في الناس من لا يُرْتجى نفعُه   إلا إذا مُسَّ بأضرار

كالعود لا يُطْمع في طيبه   إلا إذا أُحْرق بالنار

وربما أنشد:

قد يُهزُّ الهنديُّ وهو حسامٌ   ويُحَثُّ الجوادُ وهو جواد

١٤٢- وإذا رأى رجلاً يروي الشِّعْرَ، ويَقْرضُه أنشد:

لقد خشيت أن تكون ساحرا   روايةً مَرّاً ومَرّاً شاعرا

١٤٣- وإذا رأى رجلاً يُخَطِّئ الأكابر، وهو مخطئ أنشد:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً   وآفتُه من الفهم السقيم

١٤٤- وإذا قيل له: ما ترك الأول للآخر شيئاً أنشد:

يقول من تَقْرَعُ أسماعَه   كم ترك الأول للآخر

أو أنشد:

كم غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ   ولَرُبَّ تالٍ بَذَّ شأوَ مُقدَّمِ

١٤٥- وإذا رأى شباباً لا ينظرون في مآلات الأمور أنشد:

لم أر مثل الفتيان في غِيَرِ الأيام ينسون ما عواقبُها

١٤٦- وإذا رأى رجلاً ذا شطط ومبالغة أنشد:

عليك بأوساط الأمور فإنها   نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

أو أنشد:

إن بين التفريط والإفراطِ   مَسْلكاً منجياً من الإيراط

الإيراط: الهلكة والورطة.

١٤٧- وإذا قيل له: إن فلاناً يتنكر للمعروف، ولا يحفظ الود

أنشد:

نبئت عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكفرُ مَخْبَثَةٌ لنفس المنعم

١٤٨- وإذا رأى شاكراً لمن أحسن إليه، معترفاً لأهل الفضل بفضلهم أنشد:

الشكر أفضلُ ما حاولتَ ملتمساً به الزيادةَ عند الله والناسِ

١٤٩- وإذا أسدى إليه أحدٌ معروفاً، ورغب في شكره أنشد:

أذكرُ النُّعمى التي لم أنْسَها لك في السَّعْي إذا العبدُ كَفَرْ

أو أنشد:

فلو كان للشكر شَخْصٌ يبين إذا ما تأمَّله الناظرُ

لَمَثَّلْتُهُ لك حتى تراه فَتَعْلَمَ أني امرؤ شاكرُ

١٥٠- وإذا ناله ضررٌ من صديق أنشد:

ومن العداوة ما ينالك نفعُه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

١٥١- وإذا رأى أحداً يدعي محبة أحدٍ من الناس دون أن يسعى إلى منفعته مع قدرته على ذلك أنشد:

أخوك الذي ترضيه لا من توده ألا ربَّ ودٍّ لا يفيد فتيلا

أو أنشد:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتيَ ما زودتني زادي

١٥٢- وإذا قال له أحد: إنني أشتاق إلى فلان، وأُصْفِيْهِ الودَّ، ولا أرى منه إلا صدوداً، وبروداً، وشروداً أنشد:

أقِلَّ اشتياقاً أيها القلب ربما رأيتك تصفي الودَّ من ليس صافيا

١٥٣- وإذا قيل له: إن فلاناً تولَّى عملاً، أو أصاب ثروةً، فبخل على قومه، ولم ينفع أحداً منهم مع أن ذلك لا يضيره بشيء أنشد:

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله على قومه يُستغن عنه ويُذممِ

أو أنشد:

يا أبا جعفر لكم من نعيم عاد في أهله بلاءً وبُؤْسا

اعلمنْ عن تيقنٍ واختبار (إن قارون كان من قوم موسى)

١٥٤- وإذا استنجد أحدٌ بأخٍ له حقٌّ عليه، فقصَّر في إنجاده، ولم يعره اهتماماً أنشد:

وإني في دعائك من خطوب أَلَمَّتْ أرتجيك لهن آسي

كمرسل دعوةٍ بفلاة أرض متى تبلغ مدىً ترجع بياسِ

١٥٥- وإذا أثنى على أحد بسرعة النجدة، وإنجاح الطِّلبة أنشد:

إذا أيقظتك حروب العدى فَنَبِّه لها عمراً ثم نَمْ

١٥٦- وإذا رأى أحداً لا يحرص على رفعة شأن غيره؛ رغبة منه في الانفراد بخصال الحمد، وخشية أن ينافسه أحدٌ في ذلك أنشد:

أبا جعفر هلا اصطنعت مودتي وكنت مصيباً فيَّ أجراً وموضعا
فكم صاحب قد جلَّ عن قدر فمدَّ له الأسباب فارتفعا معا

١٥٧- وإذا أراد تحذير إنسانٍ يَظْلِم مَنْ تحت يَدِه، ويُحَرِّض من فوقه على الظلم أنشد:

إيهاً أبا جعفر وللدهر كَرَّا تٌ وعما يريب متسعُ
بعثت ليثاً على فرائسه وأنت منها فانظر متى تقعُ

أو أنشد:

أبا جعفر خَفْ نبوة بعد صولة وقصِّرْ قليلاً عن مدى غُلَوائكا
فإن يكُ هذا اليوم يوماً حويتُه فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

١٥٨- وإذا أوصى أحداً بالرفق والأناة أنشد:

الرفق يُمْنٌ والأناةُ سلامةٌ فاستأن في رفقٍ تلاقِ نجاحا

١٥٩- وإذا ذكر مخادعاً مخلفاً أنشد:

كلامُه أخدعُ من لحظه ووعدُه أكذب من طيفه

١٦٠- وإذا ذم كذوباً بكثرة الحلف أنشد:

وأكذب ما يكون أبو المثنى إذا آلى يميناً بالطلاق

١٦١- وإذا أثنى على إنسان بالصدق، وقلة الحلف أنشد:

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن بَدَرَت منه الألية برتِ

أو أنشد:

الحـــرُّ عـــزامٌ بـــلا يمـــين وعزمـــةُ الأحـــرار كـــاليمين

١٦٢- وإذا رأى أحداً يفهم الكلام على غير وجهه، ويحمله على أسوأ محامله أنشد:

ومـــن يـــكُ ذا فـــمٍ مـــرٍّ مـــريض يجـــد مُـــرّاً بـــه المـــاءَ الـــزلالا

١٦٣- وإذا حذَّر أحداً من مجلس سوء أنشد:

إن الـسلامة مـن سـلمى وجارتهـا ألا تَمـــرُّ بواديهـــا عـــلى حـــالِ

١٦٤- وإذا أراد تحذير إنسانٍ من أناسٍ يقابلونه بالبشر إذا أقبل عليهم، وإذا توارى عنهم سلقوه بألسنة حِدَاد أنشد:

أنـــت في معـــشر إذا غبـــت عـــنهم بَـــدَّلوا كـــل مايزينـــك شـــينا

وإذا مـــا رأوك قـــالوا جميعـــاً أنـــت مـــن أكـــرم البرايـــا علينـــا

١٦٥- وإذا ذَكَر مجالسَ الأكابر أنشد:

وفيهم مقامـاتٌ حِـسانٌ وجوهها وأنديـةٌ ينتابهـا القـول والفعـل

وإن جئتهم ألفيـت حـول بيـوتهم مجالس قد يَشْفى بأحلامها الجهـلُ

أو أنشد:

لا يُقَـــال الفُحـــش في نـــاديهمُ لا ولا يَبخَـــلُ مـــنهم مـــن يُـــسَلْ

١٦٦- وإذا جالس عاقلاً، وانصرف من مجلسه أنشد:

وكنت جليسَ قعقاعِ بنِ شَور ... ولا يشقى بقعقاع جليسُ
ضحوك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراقٌ عبوسُ

١٦٧- وإذا حث على مصاحبة جليس صالح كريم أنشد:

هو بحر السماح والجود فازدد ... منه قرباً تزددْ من النار بُعدا

١٦٨- وإذا اقتبس خلقاً فاضلاً من إنسان يتمتع بذلك الخلق أنشد:

ولو لم يزِعْني عنك غيرك وازع ... لأعديتني بالحلم إن العلا تعدي

أو أنشد:

لمست بكفي كَفَّه أبتغي الغنى ... ولم أدْرِ أن الجود من كفِّه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي

١٦٩- وإذا رأى إنساناً متوانياً عن المعالي، وهو مستطيع لذلك أنشد:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمام

١٧٠- وإذا رأى رجلاً يحرص على مالا يجب عليه من الحقوق، ويضيع الواجباتِ المنوطةَ به أنشد:

كمرضعةٍ أولادِ أخرى وضَيَّعَتْ ... بنيها فلم ترقع بذلك مرقعا

أو أنشد:

كساعيةٍ إلى أولادِ أخرى لِتَحضِنَهم وتَعْجِزُ عن بنيها

أو أنشد:

كتاركةٍ بيضَها بالعراء ومُلحفةٍ بيضَ أخرى جناحا

١٧١ - وإذا قيل له: لِمَ لا تعاتب فلاناً على هجره أنشد:

ولعل أيامَ الحياةِ قصيرةٌ فعلام يكثر عَتْبُنا ويطول

وربما أنشد:

حَسْبُ الأحبة أن يُفَرِّقَ بينهم ريبُ المنون فمالنا نستعجل

أو قال:

العمر أقصر مدةً من أن يُمَحَّقَ بالعتاب

١٧٢ - وإذا رأى إنساناً يكثر من العتاب بلا داعٍ أنشد:

وأراك تَكْلَفُ بالعتاب وودُّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل

١٧٣ - وإذا رأى شخصاً يريد التخفيف عن نفسه بعتاب غيره أنشد:

فدعِ العتاب فرب شرٍ هاج أوَّلُه العتاب

أو قال:

لا تطفئن جوىً بلومٍ إنه كالريح تغري النار بالأحراق

١٧٤- وقد يعزم على معاتبة صاحب له، فيقابله ذلك الصاحب بوجهٍ طلق، وجبين وضاح، فيدع معاتبته، وينشد:

أزور محمداً وإذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور
فأرجع لم أَلُمْهُ ولم يَلُمْني وقد رضي الضميرُ عن الضمير

١٧٥- وإذا قيل له: لِمَ تعاتبْ فلاناً، وعاتبت فلاناً، ثم بَيَّن أن ذلك المعاتب تكرر منه الخطأ أنشد:

أعاتب ذا المودة من صديقٍ إذا ما سامني منه اغتراب
إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الود ما بقي العتاب

١٧٦- وإذا قيل له: عاتبْ فلاناً لعله يُقْصِرُ عن زلَلِهِ وتقصيره، ويرجع إلى سالف عهده، وأراد أن يبين أن العتاب لا ينفع مع ذلك الرجل؛ لأنه منصرف عن المودة، زاهدٌ في الصحبة أنشد:

أقلل عتاب من استربت بودِّه ليست تنال مودة بعتاب

أو أنشد:

أعاتب من يحلو عليَّ عتابُه وأترك ما لا أشتهي وأجانبه

أو أنشد:

وإذا ما القلوبُ لم تضمرِ الودَّ فلن يَعْطِفَ العتابُ القلوبا

١٧٧- وإذا قيل له: فلان تضايق من عتابٍ يستحقه أنشد:

لا تأنفنَّ من العتاب وَقَرْصِه فالمسك يُسحقُ كي يزيدَ فضائلا

١٧٨- وإذا رأى إنساناً متقلب المزاج، لا يعرف رضاه من سخطه أنشد:

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحةٌ ولا وصله يبدو لنا فَنُكَارِمُهْ

١٧٩- وإذا أراد إرضاء عاتب عليه أنشد:

.... سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري

١٨٠- وإذا حثَّ إنساناً على التشمير والجد قال:

ما ابيض وجهُ المرءِ في طلب العلا حتى يُسَوِّد وجْهَه في البيدِ

١٨١- وإذا ناله إساءةٌ من صديق، وصبر عليها أنشد:

وأُغْمِضُ للصديق عن المساوي مخافة أن أعيش بلا صديق

أو قال:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على حنقٍ بريقي

عفوت ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أعيش بلا صديق

١٨٢- وإذا رأى جفوةً، وتغيراً من صديق دون أن يعرف سبب ذلك أنشد:

يا صديقي بالأمس صِرْت عدواً سُؤتني ظالماً ولم تَرَ سُوَّا

صِرْتَ تُغْريْ بِيَ الهمومَ وقد كنـ ـت لقلبي من الهموم سُلُوَّا

أيُّ واشٍ وشى وأيُّ عَدُوٍّ دبَّ حتى نبوتَ عني نُبُوَّا

كلما ازددتُ صحةً لك في الودِّ تزيَّدتَ نبوةً وعتوَّا

١٨٣- وإذا لقي صاحباً بعد طول انقطاع، فتنكر له ذلك الصاحب، وأظهر عدم معرفته بعده أنشد:

أتناسيت أم نسيت إخائي والتناسي شر من النسيان

١٨٤- وإذا رأى كريماً يحسن، ويتبع الإحسان الإحسان أنشد:

وما كلُّ هاوٍ للجميل بفاعل ولا كلُّ فعالٍ له بمتمم

أو أنشد:

ولا مجدَ إلا حين تُحْسِنُ عائداً وكل فتىً في الناس يُحْسِنُ باديا

١٨٥- وإذا شكا إلى أحد أحبته بَعْضَ ما يلقاه أنشد:

وأبثثت عَمْراً بعض ما في جوانحي وجرَّعْتُه من مُرِّ ما أتجرع
ولا بد من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرارُ نفسٍ تَطَلَّعُ

وربما قال:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادةٌ ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

أو قال:

لا يبرأ المصدور من سقم في صدره إلا إذا نَفَثا

١٨٦- وإذا رأى أحداً يشكو إلى من لا يعنيه شأنُه، أو إلى من لا يُشكِّي ولا يبالي بأحد أنشد:

تمـــوت النفـــوسُ بأوصــابها ولم يَـــدْرِ عُوَّادُهـــا مـــا بهـــا
ومـــا أنـــصفت مهجـــةٌ تـــشتكي إلى غـــير أحبابهـــا مـــا بهـــا

أو أنشد:

لا تـــشكون إلى خلْـــقٍ فَتُـــشْمِتَهُ شكوى الجريح إلى الغربـان والـرَّخم

١٨٧ - وإذا حث على ارتفاع النفس، وبث الشكوى إلى الخالق - جل جلاله- أنشد:

وإذا عرتـــك بليـــة فاصـــبر لهـــا صـــبر الكـــريم فإنـــه بـــك أعلـــمُ
وإذا شـــكوت إلى ابـــن آدم إنـــما تشكو الرحيم إلى الـذي لا يـرحمُ

١٨٨ - وإذا كثرت عليه المصاعب، والمتاعب أنشد:

حتـــى كـــأني للحـــوادث مـــروةٌ بِـصَّفا المـشَقَّرِ كـلَّ يـومِ تقـرع

١٨٩ - وإذا حزن على أمرٍ أنشد:

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردعُ والـــدمع بيـــنهما عـــصيٌّ طيِّـــعُ
يتنازعـــان دمـــوع عـــين مـــودع هـــذا يجـــيء بهـــا وهـــذا يرجـــع

١٩٠ - وإذا دهاه أمرٌ لا يمكنه تغييره أنشد:

وأحـقُّ مـا صـبر امـرؤ مـن أجلـه مـــا لا ســـبيل لـــه إلى تغيـــيره

أو أنشد:

أفـوِّض مـا تـضيق بـه الـصدورُ إلى مـــن لا تغالبـــه الأمـــورُ

أو أنشد:

ربما تكره النفوسُ من الأمرِ له فَرْجَةٌ كَحَلِّ العقالِ

أو أنشد:

انعم ولَذَّ فللأمور أواخرٌ أبداً إذا كانت لهن أوائل

١٩١ - وإذا رأى ظالماً تسلط على ظالم أنشد:

ولكل شيءٍ آفةٌ من جنسه حتى الحديدُ سطا عليه المِبْرَدُ

أو أنشد:

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها ولا ظالمٍ إلا سيبلى بظالم

١٩٢ - وإذا قيل له: إن فلاناً يُلِحُّ إذا أراد حاجة، وإذا أريد منه شيء بادر بالعذر أنشد:

وأخٍ إن جاءني في حاجة كان بالإلحاح مني واثقا

وإذا ما جئته في حاجة كان بالرد بصيراً حاذقا

يُعْمِلُ الفكرةَ لي في الردِّ مِنْ قبْلِ أن أبدأ فيها ناطقا

١٩٣ - وإذا قيل له: إلى مَنْ تشتاق مِنْ أصحابك أنشد:

وإني لمشتاقٌ إلى ظل صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كَدِرْتُ عليه

١٩٤ - وإذا قيل له: من تحب من الإخوان أنشد:

أحب من الإخوان كل مُواتِ وكل غضيض الطرف عن عثراتي

يساعدني في كل أمر أحبه ويحفظني حياً وبعد مماتي

فمن لي بهذا ليت أني وجدته لقاسمته مالي من الحسناتِ

وربما قال:

بنفسي أخي برٍّ شددت به أزري فألفيته حُرّاً على العسر واليسر
أغيب فَلِيْ منه ثناءٌ ومِدحةٌ وأحْضُر منه أحسن القول والبشرِ

١٩٥ - وإذا قيل له: من صاحبك حقاً أنشد:

حبيبُك من يغار إذا زللتا ويغلط في الكلام متى أسأتا
يُسَرُّ إذا اتصفت بكل فضل ويحزن إن نَقَّصْتَ أو انتُقِصْتا
ومن لا يكترثْ بك لا يبالي أَحُدْتَ عن الصواب أو اعتدلتا

١٩٦ - وإذا قال له محب: هل ضَيَّقْتُ عليك في المجلس؟ أنشد:

يرى الأحبابُ ضنكَ العيش وَسْعاً ولا يَسَعُ البغيضين الفضاءُ

١٩٧ - وإذا وقعت عينه على أحد أحبته في جمع من الناس أنشد:

أقلِّب طرفي بينهن فيستولي وفي القلب بونٌ بينهن بعيد

١٩٨ - وإذا قيل له: ألا تسألُ صديقَك عن صحة ودِّه لك؛ حتى تكون على بينة من أمرك أنشد:

لست عن ودِّ صديقي سائلاً غير قلبي فهو يدري ودَّه
فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم مالي عنده

أو أنشد:

لا تسألنَّ عن الصديـ ـق وسل فؤادكَ عن فؤاده

١٩٩- وإذا سمع عن فضائل شخص، وأحبه قبل أن يراه أنشد:

وكم من محبٍّ قد أحبَّ وما رأى   وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

أو أنشد:

....   والأذن تعشق قبل العين أحيانا

٢٠٠- وإذا قيل له: إن فلاناً يتقدم في السن، ولما يزل عقله صغيراً أنشد:

إذا لم يكن مرُّ السنين مترجماً   عن الفضل في الإنسان سميته طفلا

٢٠١- وإذا رأى أناساً مُغْضبين يتكلمون ويرفعون أيديهم عند كلام الغضب أنشد:

غُلْبٌ تَشَذَّر بالدخول كأنهم   جِنُّ البديِّ رواسياً أقدامُها

التشذر: رفع اليد عند كلام الغضب.

٢٠٢- وإذا حث متخاصمين على الصلح أنشد:

خليلَيَّ إن لم يغتفر كلَّ واحدٍ   عثارَ أخيه منكما فترافضا

وما يلبث الحيَّانِ إن لم يجوِّزوا   كثيراً من المكروه أن يتباغضا

خليلَيَّ بابُ الفضلِ أن تتواهبا   كما أن باب النقص أن تتعارضا

٢٠٣- وإذا ذكر قوماً خياراً عدولاً، يُصْلِحون بين الناس أنشد:

هُمُ وسطٌ يرضى الأنام بحكمهم   إذا نزلت إحدى الليالي بِمُعْضِلِ

٢٠٤- وإذا أثنى على قوم أصلحوا بين فئتين متنازعتين، فرأبوا الصدع، وجمعوا الكلمة بعد أن طالت مدة الخصومة أنشد:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ منشم

٢٠٥- وإذا أثنى على أناس بالطهر والعفاف أنشد:

ثيابُ بني عوفٍ طهارى نقيةٌ وأوجههم عند المشاهد غُرَّانُ

٢٠٦- وإذا أساء إليه أحد، ورماه بذنب في العلانية، ثم اعتذر إليه في السر أنشد:

وذنبي ظاهر لا شك فيه لطالبه وعذري بالمغيب

أو قال:

ومن الظُّلْمِ أن يكون الرضى سرّاً ويبدو الإنكار وسْطَ النادي

أو أنشد:

جفاءٌ جرى جهراً لدى الناس وانبسطْ وعذرٌ أتى سراً فأكَّد ما فَرطْ

ومن ظن أن يمحو جليَّ جفائه خفيُّ اعتذارٍ فهو في أعظم الغلطْ

٢٠٧- وإذا قال له أحدٌ: إن فلاناً ينكر فضلي وهو يراه رأي العين أنشد:

ويُظْهِرُ الجهلَ بي وأعرفه والدُّرُّ دُرٌّ برغم من جهله

٢٠٨- وإذا وصف إنساناً بأصالة الرأي، وتدبر العواقب، وكثرة المخارج قال:

عليم بما خلف العواقب إن سرت بديهته فضلاً بها في العواقب
وصيقلُ آراءٍ يبيت يَكُدُّها ويشحذها شَحْذَ المُدَى للنوائب

أو قال:

حُوَّلٌ قُلَّبٌ مِعَنٌّ مِفَنٌّ كلُّ داءٍ له لديه دواءُ

أو أنشد:

بصير بأعقاب الأمور كأنما تخاطبه في كل أمر عواقبُه

٢٠٩- وإذا رأى إنساناً هَمُّهُ جمعُ المالِ، ولا يجعله سبباً لسعادته في دنياه وأخراه أنشد:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في حبل غيرك تحطب

أو أنشد:

اسْلَمِي أمَّ خالدِ ربَّ ساعٍ لقاعدِ
ربَّ مالٍ جمعتُه لامرئ غير حامدِ

أو أنشد:

ربَّ نارٍ جدَّ في إيقادها موقدٌ لكنَّه لم يصطلِ

٢١٠- وإذا رأى إنساناً يكدح، وينفق على آخر قاعد، أو رأى إنساناً يقتنص الفوائد، وينقب عن الفرائد، ويبثها عند قوم لا يُعَنُّون أنفسهم من أجلها أنشد:

هذا يصيد وهذا يأكل السَّمكة

٢١١- وإذا مات عالم أو كبير له وزنه في ضبط الأمور أنشد:

أودى الخيار من المعاشر كلهم واسْتَبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

وتنازعوا في كلِّ أمرٍ عظيمة لو كنت حاضرهم بها لم ينبسوا

وربما أنشد:

الناسُ بعدك قد خَفَّت حلومُهُمُ كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أو أنشد:

هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبالْ

٢١٢- وإذا مات ذو مكانة في قوم، و أراد وصف ما حلَّ بهم من الفجيعة بسببه أنشد:

كأن بني نبهان عند وفاته نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

٢١٣- وإذا رأى أناساً حزانى مجتمعين عند مَيْتٍ عزيز إلى نفوسهم أنشد:

والناس من حوله هذا يساعفه دَمعٌ وهذا شجيُّ القلب مكمودُ

٢١٤- وإذا مات ذو قدر وفضل، ثم تناساه الناس سريعاً أنشد:

في الحال يعتاضون عنه بغيره ويعود ربُّ الحزن غير حزين

الوردُ كان العندليبُ حَلِيفَه لما انقضى غنى على النسرين

٢١٥- وإذا نعى إنساناً حاذقاً في فنٍّ من الفنون، أو صنعة معينة أنشد:

فَمَنْ للقوافي شانها مَنْ يحوكها إذا ما ثوى كَعْبٌ وفَوَّز جرولُ

ثوى وفَوَّز: هلك، وكعب: هو الشاعر ابن الشاعر زهير ابن أبي سُلمى، وجرول: الحطيئة.

٢١٦- وإذا رأى رجلاً تولى منصباً، ولم يسبق له سابق خبرة فيه أنشد:

من لم يُسَسْ فيطيرَ في خيشومه رَهَجُ الخميس فلن يقود خميسا

٢١٧- وإذا شكى إليه أَحَدٌ ورودَ خاطرِ اليأس على قلبه أنشد:

ولا بُعْدَ من خير وفي الله مطمع ولا يأسَ مِنْ رَوْح وفي القلب إيمانُ

٢١٨- وإذا تفكر في ذنوبه، وتفريطه في جنب الله، وتذكر فضل الله، وسعة عفوه قال:

تعاظمني ذنبي فلما قَرَنْتُهُ بعفوك ربي كان عفوك أعظما

٢١٩- وإذا رأى كبيرَ سِنٍّ سادراً في غيِّه، ماشياً في غُلَوائه أنشد:

ذا ارعواءٍ فليس بعد اشتعال الرأس شيباً إلى الصبا من سبيل

أو أنشد:

أطرباً وأنت قَنَّسريُّ والدهرُ بالإنسان دوَّاريُّ

القَنَّسري: الكبير السن الذي أتى عليه الدهر.

٢٢٠- وإذا عزَّى أحداً بابنه أنشد:

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبسٌ وإن ابنَكَ المحمودَ -بعد ابنك- الصبرُ

وما أوحش الرحمنُ ساحةَ عبده إذا عاشرَ الجلَّى ومؤنِسُه الأجر

٢٢١- وإذا مات لأحدٍ ابنُه الأكبرُ الذي يكنى به أنشد:

كيف السلوُّ وكيف صبري بعده وإذا دعيتُ فإنما أُكْنَى به

٢٢٢- وإذا عزَّى أحداً ببلية أنشد:

إذا حلَّ بك الأمر فكن بالصبر لَوَّاذا

وإلا فاتَكَ الأجرُ فلا هذا ولا هذا

٢٢٣- وإذا رأى كبيرَ قَدْرٍ بلي بمصيبة، وأراد تسليته أنشد:

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبرُ الرعيةِ عند صبر الراس

٢٢٤- وإذا كان في رحلة عبر الطائرة لزيارة صديق أنشد:

الشوق يحدونا إلى لقياكا والمقلتان سوادها يرعاكا

يابن الأكارم ذي تحيةُ مشفقٍ في الجو قبل نزوله بحماكا

٢٢٥- وإذا شرب من ماء زمزم، أو رأى أناساً يشربون منه أنشد:

وَرِدُوا زمزمَ يَشفونَ بها ظمأَ الأكباد حيناً بعد حين

لو شفى عمرو بن كلثوم بها غُلَّه عافَ خمورَ الأندرين

٢٢٦- وإذا رأى رجلاً يثق بكل أحد، ويفضي إليه بشقوره -أي همومه ومكنونات سرائره- أنشد:

أكـلَّ امـرئٍ تحـسبين امـرءًا ونـارٍ توقَّـدُ بالليـل نـارا

٢٢٧- وإذا رأى زحاماً عند باب كريم يُرْجى نوالُه، وكرمُه أنشد:

يسقط الطيرُ حيث يلتقطُ الحبُّ وتُغشى منازلُ الكرماءِ

وربما أنشد:

يـزدحم النـاسُ عـلى بابـه والمنهـلُ العَـذْبُ كثـيرُ الزحـامْ

أو أنشد على لسانهم:

أَكابِرَنـا عطفـاً علينـا فإننـا بنـا ظمـأٌ بَـرْحٌ وأنـتم نواهـل

برح: شديدٌ مؤذٍ.

٢٢٨- وإذا رأى زهداً، أو تزهيداً بالأكابر أنشد:

فكبـيرٌ ألا يـصان كبـيرٌ وعظـيمٌ أن يُنبـذَ العظـماءُ

٢٢٩- وإذا رأى كبيرَ قدرٍ يحط من كبير قدر أنشد:

لا تَضَعْ مِنْ عظيمِ قـدرٍ وإن كُنْـ ـتَ مـشاراً إليـه بـالتعظيم

فـالكبير العظـيم يـصغر قـدراً بـالتَّجَرِّي عـلى الكبـير العظـيم

٢٣٠- وإذا رأى وضيعاً ينتقص كبيراً، ويظن أنه يضيره أنشد:

كنـاطحِ صـخرة يومـاً لِيفلِقَهـا فلم يَضِرْها وأوهـى قرنَـه الوعِـلُ

أو أنشد:

ضَرَبَتْنـي بكفِّهـا ابنـةُ مَعْـنٍ أوجعـت كفَّهـا ومـا أوجعتنـي

أو أنشد:

وإنا وما تلقي لنا إن هجوتنا لكا البحر مَهما يُلْقَ في البحر يَغْرقِ

٢٣١- وإذا أراد واشٍ، أو شانئٌ أن يحط من قدر أحد إخوانه عنده أنشد:

وما حِلٌ حطَّ قدراً من نَفْسه لم يَصُنْهُ
أراد نقص أخٍ لي بما يبلِّغُ عنه
فكان ما سَمِعَتْهُ مسامعي عنه مِنْهُ

الماحل: الذي يكيد بالسعاية.

٢٣٢- وإذا قال له صديق فاضل عاقل: هل نزلت من عينك بسبب فلانٍ الذي أراد الحط من شأني عندك أنشد:

ما حطك الواشون من رتبةٍ عندي ولا ضرك مغتاب
كأنما أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

٢٣٣- وإذا رأى إنساناً يسعى بين الناس بالوشاية أنشد:

لعمرك ما سب الأميرَ عدوُّه ولكن من سَبَّ الأميرَ المبلغُ

أو أنشد:

من يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عن أخ فَهُو الشاتمُ لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به إنما الذنب على من أعلمك

٢٣٤- وإذا رأى عامة الناس أجمعوا على إجلال أحد من الناس ومحبته، وأراد أحد إسقاطه من أعينهم أنشد:

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان

أو أنشد:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيتَه والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

٢٣٥- وإذا أثنى على كبير في أنه لا يُغْفل صغارَ الأمور ولا كبارَها أنشد:

لولا ملاحظةُ الكبيرِ صغيرَه ما كان يُعرف في الأنام كبيرُ

٢٣٦- وإذا رأى طالبَ علمٍ عاقلاً أنشد:

العلمُ للرجل اللبيب زيادةٌ ونقيصةٌ للأحمق الطيَّاش

مثلُ النهارِ يزيد أبصار الورى نوراً ويعمي أعين الخفَّاش

٢٣٧- وإذا قام بواجباته، وما أنيط به من عمل أنشد:

وقمتُ على ريش النعام فلم أجدْ فراشاً وثيراً مثل إتمام واجبي

٢٣٨- وإذا رغب في الائتلاف، وحذّر من الاختلاف أنشد:

وَيْحُ الرجال من القلو ب إذا تنافرت القلوب

لا الرأي يرأب صَدْعَها يوماً ولا النَّطسُ الطبيب

٢٣٩- وإذا رأى قوماً ليس لهم كبير عاقل يصدرون عن رأيه أنشد:

إذا ما قلت أيّهم لأي تشابهت المناكب والرؤوس

أو أنشد:

سواءٌ كأسنان الحمار ولا ترى لذي شيبة منهم على ناشئٍ فضلا

٢٤٠- وإذا رأى قوماً تفرقوا، فَلَقُوا ذلاً بعد عز، وخمولاً بعد شَمَم أنشد:

فيالكِ مِنْ دار تَفَرَّق أهلُها أياديْ سباً عنها وطال انتظارها

٢٤١- وإذا تفكر في عظمة الإسلام، وأَمْرِهِ بالائتلاف، واجتماع الكلمة، ورأى حال المسلمين وما هم عليه من التفرق أنشد:

بحثت عن الأديان في كل ملةٍ وطُفت بلاد الله غرباً ومشرقا

فلم أرَ كالإسلام أدعى لألفةٍ ولا مثل أهليه هوىً وتفرقا

٢٤٢- وإذا رغب من أهل الفضل والعلم أن يحافظوا على اجتماع كلمتهم أنشد:

يا معشر القراء يا ملحَ البلدْ من يُصْلِحُ الملحَ إذا الملحُ فَسَدْ

٢٤٣- وإذا رغب في حلِّ مشكلة يسيرة، وأطرافُها رافضون متعنتون أنشد:

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

٢٤٤- وإذا رأى إنساناً أمامه طعام يشتهيه وهو محميٌّ عن أكله؛ لمرض، أو نحوه أنشد:

وفي نظرة الصادي إلى الماء حسرةٌ إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

أو أنشد:

أرى ماءً وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

٢٤٥- وإذا رأى أحداً يفتخر، ويباهي بعلم ناله أنشد:

فقل لمن يدَّعي في العلم فلسفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

٢٤٦- وإذا أشار حكيم برأي، فأعجبه، وأراد من الآخرين أن يأخذوا برأي ذلك الحكيم أنشد:

إذا قالت حذامٍ فصدقوها فإن القول ما قالت حَذامِ

٢٤٧- وإذا حثَّ على الأخذ بنصح اللبيب العاقل أنشد:

وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤتٍ نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فَحُقَّ له من طاعةٍ بنصيب

٢٤٨- وإذا رأى إنساناً يمارس مهنة الطب دون علم، وأراد تحذيره، أو التحذير منه أنشد:

أقول لنعمان وقد ساق طبُّه نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض

أبا منذر أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعضِ

٢٤٩- وإذا رأى ذا همة عالية، وحظٍّ عاثر أنشد:

هِمَّةٌ تنطح النجومَ وجَدٌّ آلفٌ للحضيض فهو حضيضُ

أو قال:

متحيِّرٌ يغدو بعزم قائمٍ في كل نائبة وجَدٌّ قاعدِ

٢٥٠- وإذا قال له أحد: إن فلاناً تنكَّر لي، ونسي إحساني إليه أنشد:

إذا المرءُ ألقى في السباخ بذورَه أضاع فلم ترجع بزرع ولا بذر

٢٥١- وإذا قال له أحدٌ أسديتُ معروفاً لأناس فضاع عند بعضهم أنشد:

إذا الأرض أدَّت رُبْعَ ما أنت زارعٌ من البذر فيها فهي ناهيك من

٢٥٢- وإذا حث محسناً على أن يصنع المعروف دون نظر إلى موقعه، ودون انتظار جزاء أو شكور أنشد:

بُثّ الصنائعَ لا تَحْفَلْ بموقعها فيمن نأى أو دنا ما كنت مقتدرا

فالغيث ليس يبالي حيثما انسكبت منه الغمائم ترباً كان أو حجراً

وربما قال:

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات

٢٥٣- وإذا قيل له: إن فلاناً الكريمَ تعتريه حدةٌ قد تُنَفِّرُ منه، وتجعل الناس لا يرجون منه نفعاً أنشد:

لا يؤيسنك مِنْ عثمانَ حِدَّتُه وإن تطاير من نيرانه الشررُ

فإن حدَّتَه -والله يكلؤه- كالبرق والرعد يأتي بعده المطرُ

٢٥٤- وإذا قيل له: إن فلاناً يجود بعطائه غير أنه يُكَدِّره بالتأخير

أنشد:

عَجِـلٌ بالـذي تنيـل يـداه إن بـطء النـوال مـن تنكيـده

أو أنشد:

إن الكـريم إذا حبـاك بموعـدٍ أعطاكـه سلـساً بغـير مطـالِ

أو أنشد:

إذا نِلْـتَ العطيـة بعـد مَطْـلٍ فـلا كانـت وإن كانـت جزيلـهْ

فـسقياً للعطيـة ثـم سـقياً إذا سـهلت وإن كانـت قليلـهْ

٢٥٥- وإذا رأى إنساناً يُعَلِّق طالبي الحاجات، ويمنِّيهم بالوعود دون أن يعتذر منهم، أو يحقق مطالبهم أنشد:

أظلَّـت علينـا منـك يومـاً سـحابةٌ أضاءت لنا برقـاً وأبطـا رِشاشُـها

فـلا غيمهـا يُجلى فيبـأسُ طـامعٌ ولا غيثهـا يـأتي فـيروى عِطاشُـها

٢٥٦- وإذا رأى إنساناً حلوَ اللسان يحسن استقبال طالبي العطاء أو الشفاعة، وهو لا يقدم لهم أيَّ نفع يرتجى أنشد:

إذا مـا جئـت أحمـد مـستميحاً فـلا يغـررك منظـره الأنيـق

لـه ظُـرف ولـيس لديـه عُـرفٌ كبارقـة تـروق ولا تريـق

فـما يخـشى العـدو لـه وعيـداً كـما بالوعـد لا يثـق الـصديق

٢٥٧- وإذا رأى أحداً يسخو بماله، وجاهه غير أنه يفسده بالمن أنشد:

أفسدت بالمنِّ ما أسديت من حَسَنٍ لـيس الكـريمُ إذا أسـدى بمنـانِ

٢٥٨- وإذا رأى إنساناً يفرح بما يعطي، ويسر بما يقدم من معروف أنشد:

ولئن فَرِحْتَ بما ينيلك إنه   لبما ينالك من نَدَاهُ أفرحُ

أو أنشد:

أسائلَ نصرٍ لا تَسَلْهُ فإنه   أحنُّ إلى الإرفاد منك إلى الرِّفْدِ

٢٥٩- وإذا رأى أحداً يسخو بالكثير من ماله وجاهه دون أن يستكثر شيئاً من ذلك أنشد:

ما زال يعطي ساكتاً أو ناطقاً   حتى ظننتُ أبا عقيل يمزح

٢٦٠- وإذا رأى إنساناً يبذل ويخفي ما يقوم به من بَذْل أنشد:

يخفي محاسِنَهُ والله يظهرها   إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

٢٦١- وإذا رأى إنساناً يَدَعُ الإنفاقَ، أو القيامَ بعمل الخير؛ استقلالاً لما عنده، أو احتقاراً لما يُقَدَّم من معروف أنشد:

إذا تكرَّمت عن بذل القليل ولم   تَقْدِرْ على سعة لم يَظْهرِ الجودُ

بُثَّ النوال ولا تمنعك قِلَّتُه   فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

أو أنشد:

من لم يواسِكَ في قليل لم يواسِك في الكثير

والحق يلزم في الكثير وليس يسقط في اليسير

أو أنشد:

افعلِ الخير ما استطعت وإن كا   ن قليلاً فلن تحيط بكُلِّهْ
ومتى تفعلُ الكثير من الخير إذا كنت تاركاً لأقلهْ

أو أنشد:

لا تحقرن صغير الخير تفعله   فقد يروِّي غليلَ الهاشمِ الثَّمَدُ

الثمد: القليل.

٢٦٢- وإذا رأى إنساناً يبخل بالسلام، ولا يبادر إلى إلقاء التحية أنشد:

أتَراك تسمح بالنوا   لِ وأنت تبخل بالسلام
قد ضل من لا يبتغي   ودَّ الأكارم بالكلام

٢٦٣- وإذا رأى أناساً يحتقرون الفقير؛ لفقره، ويبالغون في إكرام الغني؛ لمجرد غِناه أنشد:

يحيِّي الناسُ كلَّ غنيِّ قومٍ   ويُبْخلُ بالسلام على الفقير
ويُوْسَعُ للغني إذا رأوه   ويُحيى بالتحية كالأمير

٢٦٤- وإذا رأى رجلاً يبخل على الناس من مال غيره أنشد:

وإن امرءاً ضَنَّتْ يداه على امرئٍ   بنيل يدٍ من غيره فهو باخلُ

٢٦٥- وإذا رأى إنساناً يبذل الشفاعات في سبيل تفريج أو تنفيس الكربات أنشده:

وعطاءُ غيرك إن بذلت عنايةً فيه عطاؤك

أو أنشد:

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً   من جاهه فكأنها من ماله

٢٦٦- وإذا رأى بخيلاً يغتاظ ممن يجود أنشد:

وغَيْظُ البخيلِ على من يجو   دُ أعجب عنديَ مِنْ بُخله

٢٦٧- وإذا قيل له: إن فلاناً البخيل أثرى؛ فلعله يسخو أنشد:

إذا غمر المالُ البخيل فإنه   يزيد به يبساً وإن ظُنَّ يَرْطُبُ

وليس عجيباً ذاك منه فإنه   إذا غمر الماءُ الحجارةَ تصلُب

٢٦٨- وإذا رأى غنياً بخيلاً ينتقص فقيراً أنشد:

ليس عاراً بأن يقال: فقيرٌ   إنما العار أن يقال: بخيل

٢٦٩- وإذا رأى بخيلاً يشكو قلة محبيه أنشد:

أرى الناس خلانَ الجواد ولا أرى   بخيلاً له في العالمين خليل

٢٧٠- وإذا رأى شَرِهاً بخيلاً سيِّيء الخلق لا تطاوعه نفسه على المكارم أنشد:

يمارس نفساً بين جَنْبَيه كزةً   إذا هَمَّ بالمعروف قالت له: مهلا

٢٧١- وإذا رأى إنساناً همه جمع المال دون أن يكون له نصيب من العطاء والرفد أنشد:

إنْ حَبَاك القدير كالنيل تِبْراً   فَلْيُفْضِهُ العطاء والتنويل

لا تُعَوِّلْ على اختزانٍ فما للـ   ـبِدَرِ الصّفرِ إثْرَ مَيْتٍ عَويلُ

التبر: الذهب، والبِدَر: جمع بَدْرَة، وهي الجائزة التي مقدارها عشرة آلاف درهم؛ لوفورها وتمامها.

٢٧٢- وإذا حذَّر أحداً من صحبة عاقٍّ لوالديه أنشد:

وما صِلٌّ ترافقه المنايا ويجري السمُّ قتالاً بفيه
بأقبحَ من عَقُوقٍ لا يراعي كرامةَ أمِّه ورِضى أبيه

٢٧٣- وإذا ذكر رجلاً تَنكَّر لأصحابه الأوائلِ بعد أن صار ذا جاهٍ ومنزلة أنشد:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا مَنْ كان يألفُهم في المنزل الخشن

٢٧٤- وإذا تذكر غائباً قريباً من قلبه، ورأى حوله من لا يرغب في قربه أنشد:

عجبتُ لتطويح النوى مَنْ نُحِبُّه وتدنو بمن لا يُستلذُّ له قربُ

٢٧٥- وإذا أعجبه حسن استماع إنسان أنشد:

وتراه يصغي للحديث بقلبه وبسمعه ولعل أدرى به

٢٧٦- وإذا رأى إنساناً يتكلم حيث يَحْسُنُ به الكلام، ويسكت حيث يَجْمُل به السكوت أنشد:

واعلم بأن من السكوتِ إبانةً ومن التكلم ما يكون خبالا

٢٧٧- وإذا رأى صاحب حجة يَبُزُّ أقرانه بالحق أنشد:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

٢٧٨- وإذا حَذَّر إنساناً من الكلام الساقط أنشد:

وحذارِ من سفه يشينك وصفُه إن السفاهَ بذي المروءة زاري

٢٧٩- وإذا لم يعجبه سلوكُ إنسان في المحادثة أو المجالسة أنشد:

فلا أَعْرِفْك بين القوم توحي بطعن في محدثهم بغمزِ

ولا تهمز جليسك من قريب تنبهه على سقط بهمزِ

فشرُّ الناسِ معروف لديهم بقولٍ في مثالبهم ولَمزِ

٢٨٠- وإذا حذر من الخمر وسائر المخدرات أنشد:

البابلية شرُّ كلِّ بليةٍ فتوقينَّ هجومَ ذاك الباب

جَرَّت ملاحاةَ الصديقِ وهجرَه وأذى النديم وفرقةَ الأحباب

البابلية: الخمرة نسبة إلى بابل مدينة في العراق معروفة قديماً بصناعة الخمر.

أو أنشد:

جاءتك لذة ساعةٍ فأخذتها بالعار لم تحفلْ سواد العار

وعَرَيْتَ بالكأس الكميت عن التقى فاعجب لجسمك وهو كاسٍ عارِ

٢٨١- وإذا رأى أحداً زَهِدَ بأخٍ أو صديق بسبب زلة أنشده:

لا يزهدنك في أخٍ لك أن تراه زلَّ زلةْ

أو أنشد:

ما غُبن المغبونُ مثلَ عقله من لك يوماً بأخيك كُلِّه

٢٨٢- وإذا بلي بأخ يسيء إليه، فآثر الإبقاء على المودة، وتَرْك المقابلة بالمثل؛ نظراً في العواقب، ورعاية للمصلحة، وحفاظاً على الآصرة أنشد:

وتَطْرُفُ الكفُّ عينَ صاحبها ولا يرى قطعَها من الرَّشَدِ

٢٨٣- وإذا قال له أحدٌ: إن فلاناً سقط من عيني بمجرد خطأ ارتكبه، وأراد أن يعتذر للمخطئ أنشد:

عَزَّ الكمال فما يحظى به أحدٌ فكلُّ خلْقٍ وإن لم يَدْرِ ذو عابِ

٢٨٤- وإذا اعتذر عن محبٍّ محسنٍ أنشد:

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحد جاءت محاسنُه بألف شفيع

وربما قال:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سَرَرْن ألوفُ

٢٨٥- وإذا بدرت من فاضل هفوة، فنزلت برتبته، وأراد أن يبين أنه حقيق بالرجوع إلى مكانته، أو أرفع منها أنشد:

وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ وللشمس من بعد الغروب طلوعُ

٢٨٦- وإذا أثنى على رجل فاضلٍ نَفَّاع مبارك أنشد:

إذا ورد الشتاء فأنتَ شمسٌ وإن ورد المصيفُ فأنتَ ظلُّ

٢٨٧- وإذا رأى فذّاً جامعاً لمكارم الأخلاق، وخلال المروءة،

ورأى قلوب الناس تهوي إليه، وتقبل عليه أنشد:

كأنك من كل الطباع مُركَّبٌ فأنت إلى كل النفوس مُحَبَّبُ

أو أنشد:

وليس لله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

أو أنشد:

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلك اللهُ منها حيث تجتمع

أو أنشد:

ولربَّ فردٍ في سموِّ فعاله وعلوِّه خلقاً يعادل جيلا

أو قال:

فتىً جمع العلياءَ علماً وعِفَّةً وبأساً وجوداً لا يُفيق فُواقا

كما جمع التفاحُ حسناً ونضرة ورائحةً محبوبةً ومذاقا

٢٨٨- وإذا رأى عالماً جواداً يسخو بعلمه، وجاهه، وماله، ووقته للقريب والبعيد أنشد:

كالبدر من حيث التفتَ رأيتَه يُهْدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كَبِد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

٢٨٩- وإذا أثنى على أناس بطيب الحديث والمجلس في الحضر

والسفر أنشد:

كأنكمْ شجر الأُتْرُجِّ طاب معاً ... حَمْلاً ونوراً وطاب العودُ والورقُ

٢٩٠- وإذا رأى كريماً ينخدع؛ تكرماً وإغضاءًا أنشد:

استمطروا من قريش كل منخدع ... إن الكريم إذا خادعته انخدعا

٢٩١- وإذا رأى ثرياً جامعاً بين حقوق الدنيا والدين أنشد:

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبَه ... ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

أو أنشد:

ما أحسن الدينَ و الدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفرَ والإفلاسَ في الرجل

٢٩٢- وإذا رأى رجلاً صقلته التجارب، ووسمته الأيام بميسمها أنشد:

وقد شذبتك الحادثات وإنما ... يُفَرِّع غُصنُ الدوحِ حين يُشَذَّبُ

أو أنشد:

عرفتَ الليالي بؤسَها ونعيمَها ... وجَرَّبتَ حتى أَحْكَمَتكَ التجارِبُ

٢٩٣- وإذا أثنى على رفيع قدر، كريم، متواضع أنشد:

إذا أحسن الأقوامُ أن يتطاولوا ... بلا مِنَّةٍ أحسنت أن تَتَطَوَّلا

تَعَظَّمتَ عن ذاك التعظُّم منهم ... وأوصاك نُبْلُ القَدْرِ أن تَتَنَبَّلا

التطاول: التعالي، والتَّطوُّل: الإحسان.

أو أنشد:

دانٍ إلى أيدي العفاة وشاسعٌ عن كل ندٍّ في الندى وضريبِ
كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤه للفتية السارين جدُّ قريبِ

أو أنشد:

دنوتَ تواضعاً وبَعُدْت قدراً فشأناك انحدارٌ وارتفاع
كذاك الشمس تَبْعُد إن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

٢٩٤- وإذا رأى شريفاً كبيراً متكبراً أنشد:

وإذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع

٢٩٥- وإذا رأى إنساناً يبالغ في الجبن، ويسترسل مع الوهم أنشد:

قل للجبان إذا تأخر سَرْجُهُ هل أنت مِنْ شَرَكِ المنية ناجِ

٢٩٦- وإذا رأى إنساناً لا يشير إذا استشير إلا بعد فوات الأمر أنشد:

تَتَبُّعُ الأمرِ بعد الفوت تغريرُ وتَرْكُهُ مقبلاً عجزٌ وتقصيرُ

٢٩٧- وإذا رأى إنساناً يسترسل مع الشكوك، ويدع التعامل مع الحقائق أنشد:

والصبح يظلم في عينيك ناصعُه إذا سدلتَ عليه الشك والرّيبا

٢٩٨- وإذا حث على إحسان الظن، والبعد عن إلقاء التهم على الأبرياء جزافاً أنشد:

ومن العجائب تهمتي لك بعد ما كنت الصفيَّ لدي والخُلْصانا
وتوقعي منك الإساءة جاهداً والعدل أن أتوقع الإحسانا

٢٩٩- وإذا شاهد إنساناً كثير التردد أنشد:

فإذا عزمت فلا تكن متردداً فسد الهوا بتردد الأنفاس

٣٠٠- وإذا رأى رجلاً يبالغ في توقع الشر، ويسرف في خشية حدوثه أنشده:

وربَّ أمورٍ لا تضيرك ضيرةً وللقلب من مخشاتهنَّ وجيبُ

أو أنشد:

ودعِ التوقع للحوادث إنه للحيِّ مِن قبل المات مماتُ

٣٠١- وإذا رأى متشائماً متطيراً أنشد:

تعلَّمْ أنه لا طير إلا على مُتَطَيِّرٍ وهُوَ الثبورُ
بلى شيءٌ يوافِقُ بعضَ شيءٍ أحايينا وباطله كثيرُ

٣٠٢- وإذا رأى إنساناً يُغَلِّب جانب اليأس أنشد:

أيها اليائس مت قبل المات أو إذا شئت حياة فالرجا
لا يضِقْ ذَرْعُك عند الأزمات إن هي اشتدت وأمِّل فَرَجا

٣٠٣- وإذا حث إنساناً على التفاؤل، والابتهاج بالحياة أنشد:

إلا إنــما بــشر الحيــاة تفــاؤلٌ   تفــاءلْ تعــشْ في زمــرة الــسعداء

٣٠٤- وإذا رأى فاضلاً يَدَعُ القيام بالمبادرات النافعة مع قدرته عليها؛ خوفاً من نقد ناقد، أو اعتراض معترض أنشد:

من راقب الناس لم يظفـر بحاجتـه   وفــاز بالطيبــاتِ الفاتِــك اللّهِــجُ

أو أنشد:

مــن راقــب النــاسَ مــات هَمّــاً   وفـــاز باللـــذةِ الجـــسورُ

٣٠٥- وإذا رأى إنساناً يستصعب الأمور، ولا يكاد يُقْدم على أمرٍ إلا تَهيَّبه أنشد:

وكــل أمــرٍ عــلى مقــدار هيبتــه   وكــل صــعب إذا هونتــه هانــا

أو أنشد:

ولا أهــاب عظـيماً حــين يــدهمني   ولــيس تغلــب شــيئاً أنــت هائبــه

أو أنشد:

لا تكـــونن للأمـــور هيوبـــاً   فـــإلى خيبـــة يـــؤول الهيـــوبُ

أو أنشد:

وأركــبُ الكُــرْهَ أحيانــاً وأكرهُــه   وربما نــالَ في الكُــرْهِ الفتــى الرُّغُبــا

لا تجــزعنَّ لكُــرهٍ أنــت راكبُــهُ   واجسر عليـه ولا تُظهـر لـه رُعُبـا

٣٠٦- وإذا ذم الجبن والبخل، وأثنى على الشجاعة والجود أنشد:

يفر جبانُ القومِ عن أُم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروفُ الجواد عدوَّه ويُحرم معروف البخيل أقاربُه

٣٠٧- وإذا قيل له: إن فلاناً يكثر الوعيد، وليس عنده إلا التهديد أنشد:

إن الوعيد سلاح العاجز الورع

أو أنشد:

وكثرة الصوت والإيعاد من فشلِ

٣٠٨- وإذا رأى لئيماً يجمع مع اللؤمِ السفاهة والتهديد والوعيد أنشد:

فكن كيف شئت وقل ما تشا وأبرق يميناً وأرعد شمالا
نجا بِكَ لؤمُك منجى الذباب حَمَتْهُ مقاذيرُه أن ينالا

٣٠٩- وإذا رأى سفيهاً جَرَّ على قومه بلاءاً أنشد:

وجرم جَرَّهُ سفهاءُ قومٍ وحل بغير جارمه العذابُ

٣١٠- وإذا رأى قوماً يعتذرون إلى إنسان أساء إليه سفيه ينتمي إليهم أنشد:

نَصُدُّ حياءً أن نراك بأعين جنى الذنبَ عاصيها فَلِمَ مُطيعُها

٣١١- وإذا أراد تنبيه أحدٍ على تفريطه، وخطأ تدبيره أنشد:

أوردها سعدُ وسعدٌ مشتملْ ما هكذا توردُ يا سعدُ الإبلْ

٣١٢- وإذا زار سجناً، وسمع بعض شكوى المساجين أنشد:

ما يدخل السجنَ إنسانٌ فتسأله ... ما بال سجنك إلا قال مظلوم

٣١٣- وإذا رأى إنساناً يؤثر العزلةَ والعيشَ بالصحاري، ويضيق ذرعاً بالمدينة ومخالطةِ الناس أنشد على لسانه:

عوى الذئب فاستئنست بالذئب إذ عوى ... وصوَّت إنسان فكِدْت أطير

أو أنشد:

ولي دونكم أهلون سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

أولئك لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ

السيد العملس: الذئب، والأرقط الزهلول: النمر، وعرفاء جيأل: الضبع.

٣١٤- وإذا حذر من الحسد وغوائله أنشد:

فلا تحسدنْ يوماً على فضل نعمةٍ ... فحسبك يوماً أن يقال: حسود

أو أنشد:

إن كان قلبُك فيه خوفُ بارئه ... فلا تجاوز حذارَ الله بالحسد

٣١٥- وإذا قال أحد: إن فلاناً يحسدني أنشد:

وإذا حُسِدْتَ فإن شكر فضيلةٍ ... ألا تؤاخذ بالإساءة حاسدا

٣١٦- وإذا أراد تسليةَ محسودٍ، وإعلامَه أن العاقبة تكون حميدة له إن صبر واحتسب أنشد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيها جاورت   ما كان يُعْرَف طيبُ عرْف العود

٣١٧- وإذا رأى رجلاً يعترف له خصومه وأعداؤه ببعض خصال الحَمْد أنشد:

ومليحةٍ شهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الأعداء

٣١٨- وإذا رأى إنساناً تضيع الفرص من بين يديه أنشد:

كم فرصة ذهبت فعادت غصةً   تُشجي بطول تلهف وتندم

وربما أنشد:

لحى الله ملآن الفؤاد من المُنى   إذا أمكنته فرصةٌ لا يُشَمِّر
يلاحظها حتى يفوتَ طِلابُها   ويصبح في أدبارها يتدبر

٣١٩- وإذا رأى رجلاً واتته الأمور، وسنحت له الفرص، وأراد توصيته باغتنامها أنشد:

إذا هبَّت رياحُك فاغتنمها   فعقبى كُلِّ خافقةٍ سكون
ولا تقعد عن الإحسان فيها   فلا تدري السكونَ متى يكون

أو أنشد:

إن أمكنت فرصةٌ فانهض لها عجلاً   ولا تؤخرْ فللتأخير آفات

أو أنشد:

بادرِ الفرصةَ واحذر فوتها فبلوغُ العزِّ في نيل الفرص

٣٢٠- وإذا رأى إنساناً تنازل عن بعض تعصبه، أو آرائه بعد أن تقدمت به السن أنشد:

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ

٣٢١- وإذا رأى إنساناً لا يعتبر بالماضي، فيجعله نبراساً له في قابل أيامه أنشد:

وإذا فاتك التفات إلى الما ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسّي

٣٢٢- وإذا طال أمدُه في انتظار أمر من الأمور أنشد:

يُطَوِّل الليلَ مراعاتُه فكلُّ أمر لا يراعى قصيرْ

٣٢٣- وإذا اغتمَّ في ليلٍ، أو سُرَّ به أنشد:

ورأيت الهموم بالليل أدهى وكذاك السرور بالليل أَعْذَبْ

٣٢٤- وإذا رأى أحداً يحتقر طالباً، أو صغيراً، أو ضعيفاً أنشد:

ولا تحقرنْ ذا بُؤسةٍ أن تنيله وإن عاش بين الناس وهو حقيرُ

فإنَّ عسى أن يرفع الدهرُ طرفَه ولله راعٍ بالعباد بصيرُ

فيلقاك يوماً ثم يجزيك مِثْلَها وأنت إليها عند ذاك فقير

٣٢٥- وإذا رأى أولاداً صلحوا بعد وفاة والدهم، أو رأى مشروعاً استوى على سوقه بعد رحيل مؤسِّسه أنشد:

ليت للبراقِ عيناً فيرى ....

٣٢٦- وإذا رأى إنساناً تاه في منصبه، وتكبر على الناس أنشد:

كم تائه بولاية وبعزله ركض البريدْ
سُكْرُ الولايةِ طيبٌ وخمارها صعبٌ شديدْ

أو أنشد:

يا مَنْ تولى فأبدى لنا الجفا وتَبَدَّل
أليس منك سمعنا مَنْ لم يَمُتْ سوف يُعْزلْ

٣٢٧- وإذا رأى متواضعاً في منصب كبير أنشد:

فتىً زاده السلطان في الخِلِّ رغبةً إذا غيَّر السلطانُ كلَّ خليل

٣٢٨- وإذا اعتذر لشخص تغيرت حالُه بعد الولاية أنشد:

وكُلُّ ولايةٍ لا بدَّ يوماً مُغيِّرةُ الصديق على الصديق

٣٢٩- وإذا تولى أحدُ معارفه ولايةً ما، وأراد تذكيره بما ينبغي عليه أنشد:

إذا كنت في أمرٍ فكن فيه محسناً فعمَّا قليلٍ أنت ماضٍ وتاركُهْ
فكم دحتِ الأيامُ أربابَ دولةٍ وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالِكُهْ

٣٣٠- وإذا قيل له: فلان أصاب ثروةً وغنىً، فتغيرت حاله، ولم يعد كسالف عهده من الود والوفاء أنشد:

فـإن تكـن الـدنيا أنالتـك ثـروة فأصبحت ذا يسرٍ وقد كنـت ذا عـسرِ
لقد كشف الإثـراء عنـك مـساوياً من اللوْم كانت تحت ثوب مـن الفقـرِ

٣٣١- وإذا رأى ذا فضل عند قوم لا يقدرونه قدره أنشد:

وما أنا إلا المسك في أرض غـيركم أضـوع وأمـا عنـدكم فأضـيع

أضوع: من ضاع يضوع مِنْ تضوَّع المسك، وقوله أضوع: أي ينتشر فضلي.

٣٣٢- وإذا أراد التنويه بفضيلة الوفاء لمن سبق إلى مكرمة، وحذر من نسيان أولئك، والتنكر لهم أنشد:

ومـن نـسي الفـضلَ للـسابقين فـما عـرفَ الفـضل فـيما عـرفْ

٣٣٣- وإذا رأى عالماً فترت همته بسبب كساد علمه بين قومه أنشد:

غَزَلْتُ لهم غـزلاً رقيقـاً فلـم أجـد لغــزليَ نـسَّاجاً فكـسرت مغـزلي

٣٣٤- وإذا قيل له: بعض الناس يقصِّر في زيارتك، ومواصلتك أنشد:

لـست ممـن يفقـد الأنـس إذا أصـبح الـروضُ كئيبـاً أغـبرا
لـست آسـى إن مَـضَى ليـلٌ ومـا صـاحبٌ زار ولا طيـف سرى
فلـيكن في النـاس بُخْـلٌ إننـي لست ممـن يـشتكي بخـل الـورى

٣٣٥- وإذا أعجبه كاتب، وأراد الإشادة به أنشد:

لك القلم الأعلى الذي بِشَباته يصاب من الأمرِ الكُلى والمفاصلُ

٣٣٦- وإذا سمع، أو قرأ بعض ما لا يروقه من الشعر أنشد:

والشعر كالبيداء هذا مَهْمَهٌ قفرٌ وهذا مرتعُ الآرام

أو قال:

إن بعضاً من القريض هُذَاءٌ ليس شيئاً وبعضُه أحكام

٣٣٧- وإذا قيل له: ما الشعر الذي يروقك؟ أنشد:

الشعر ما روَّى النفوسَ معينُه وجَرَتْ برقراق الشعور عيونُه

وصفت كلألاء الضياءِ حروفُه وزهت بوضَّاء البيان متونُه

متألقُ القسماتِ فتانُ الرؤا يزهو صِبا الفصحى الطريرَ رصينُه

حُرُّ المذاهب لا يشوبُ أصولَه كَدَرٌ ولا واهي اللغات يشينُه

ابنُ الحقيقةِ والحقيقةُ نهجُه والصدق في أَرَب الحياة خدينُه

العبقريةُ نفثُه والبابليةُ فِعْلُه وهوى الطَّرافة دينُه

أو أنشد:

الشعر ما قوَّمت زيغَ صدوره وشدَدْت بالتهذيب أَسْرَ متونِه

ورأبتَ بالإطناب شَعْبَ صُدوعه وفتحتَ بالإيجاز عُوْرَ عيونِه

وجمعتَ بين قريبه وبعيده ووصلتَ بين مُجَمِّه ومَعينه

فيكون جزلاً في اتساق صنوفه ويكون سهلاً في اتفاق فنونه

٣٣٨- وإذا قيل له ما الشعر الذي يبقى أثره، ويخلد في الناس ذكره؟ قال: هو ما كان:

مزمار أو طارٍ وحادي أمةٍ يحدو على شرف الحياة مبينُه
إن راقص الآمالَ أنعش يائساً وارتاح مكروبُ الفؤاد حزينُه
أو رنَّ مكتئباً ببرح شجونه أورى الجوى في سامعيه أنينُه
أو حنَّ مشتاقاً إلى أوطاره بعث المِراحَ إلى النفوس حنينُه
أو رث بالشدوات من تشبيهه أذكى أوارَ العاشقين رنينُه
أو هاج غضبانَ الحفيظة ثائراً بعث الجبان إلى الوغى تلحينُه

أو أنشد:

فإذا بكيتَ به الديارَ وأهلَها أجريتَ للمحزون ماءَ شؤونِه
وإذا مدحتَ به جواداً ماجداً وفَّيته بالشكر حَقَّ ديونِه
أصفيته بنفيسه ورصينه وخَصَصْتَه بخطيره وثمينه
وإذا عتبت على أخٍ في زلة أدمجت شِدَّتَه له في لينِه
وإذا اعتذرت إلى أخٍ في زلة واشكتَ بين مُحيله ومُبينِه

٣٣٩- وإذا أعجبه خطيب أنشد:

ركوبُ المنابر وثَّابُها مِعَنٌّ بخطبته مِجْهَرُ
تُريع إليه هواديْ الكلام إذا ضَلَّ خُطبتَه المِهْذَرُ

أو أنشد:

لقد علم الحيُّ اليمانون أنني ... إذا قلت أما بعد أني خطيبها

٣٤٠- وإذا أراد أن ينوه بخطباء العربية وشعرائها أنشد:

فاسأل التاريخَ ينبئْك بما ... أنجبت أرض قريش أو مُضرْ

من خطيب مِصْقعٍ أو شاعرٍ ... مُفْلِقٍ يسحب أذيال الفخرْ

٣٤١- وإذا رأى تنكراً للعربية، ورمياً لها من بعض أهلها بالجمود والتخلف أنشد:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عَقمْتُ فلم أجزعْ لقول عُداتي

٣٤٢- وإذا فاخر بالعربية، وأنها أفضل اللغات أنشد:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغواصَ عن صدفاتي

أو قال:

لُغَةٌ أودع في أصدافها ... من قوانين الهدى أبهى دُرَرْ

أوَلَمْ يَنْسِجْ على منوالها ... كَلِمُ التنزيل في أسمى سُوَرْ

هي بحرٌ غُصْ على حِلْيتِها ... فلآلِيْ البحر ليست تنحصرْ

٣٤٣- وإذا سمع كلاماً كثيراً لا فائدة فيه أنشد:

كلامُ أكثرِ مَنْ تلقى ومنظرُه ... مما يشق على الآذان الحدق

٣٤٤- وإذا رأى أحداً يهذي بمجمع من أهل الفضل أنشد:

أتـــى زيـــدٌ وأسرف في هَـــذاءٍ ... تـضيق بــه صــدورُ الــسامرينا
يُحَــدِّثنا فـــلا يـــروي غريبـــاً ... ولا يبــدي لنـــا رأيـــاً رصــينا
كمثـل رَحـىً تجعجـع طـولَ ليـلٍ ... ولا تُلْقِـــي عـــلى ثُفْـــلٍ طحينـــا

الثُّفْل: جلد يبسط، فتجعل الرحى فوقه، فتطحن باليد؛ ليسقط عليه الدقيق.

٣٤٥- وإذا أوصى أحداً بإصلاح خواطره أنشد:

لا تخلِ نفسك مـن فكـرٍ تجـول بـه ... في الصالحات فَحَبْسُ الفكـرِ يُـضْنيها
والقلب إن لم يَدُرْ يومـاً عـلى رَشَـدٍ ... دارت عليـــه همـــوم عـــزَّ راقيهـــا
مثل الرحى إن تُدِرْها وهي خاويـةٌ ... مـن الطعـام فـإن الطحـنَ يُرْدِيهـا

٣٤٦- وإذا رأى إنساناً بدأ في الكتابة، وقَرْضِ الشعرِ أنشد:

حَـرِّرْ لمعنـاك لَفْظـاً كـي تـزانَ بـه ... وقُلْ من الشعر سحراً أو فـلا تقـلِ

٣٤٧- وإذا سئل عن التأليف وأغراضه التي يحسن الكتابة فيها أنشد:

ألا فـــاعلمنْ أن التـــآليف ســـبعةٌ ... لكـل لبيـب في النـصيحة خـالصِ
فشرحٌ لإغـلاقٍ وتـصحيحُ مخطـئٍ ... وإبـداعُ حَـبْرٍ مُقْـدِمٍ غـير نـاكصِ
وترتيـبُ منثـور وجمـعُ مُفَـرَّقٍ ... وتقـصيرُ تطويـلٍ وتتمـيمُ نـاقصِ

٣٤٨- وإذا تنازع في فؤاده أمران أنشد:

وإذا تشاجر في فؤادك مرة أمران فاعمد للأعف الأجمل
وإذا هممت بأمر سوء فاتئد وإذا هممتَ بأمرٍ خير فاعجل

٣٤٩- وإذا كاتب صاحباً غائباً ذا علم، ومروءة، وأراد التنويه به كتب:

إذا ذكروا للود شخصاً محافظا تجلى لنا مرآك وهو بعيد
إذا قيل: من للعلم والفكر والتقى ذكرتُك إيقاناً بأنْك فريد

٣٥٠- وإذا طالت صحبته لإنسان، ثم فَرَّقَ بينهما مُفرِّق أنشد:

وكنا كندماني جذيمةَ حِقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا

٣٥١- وإذا رأى آثار أصحابه بعد فراقهم عنه أنشد:

من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى آثارهم بعدهم لم يدرِ ما الحزنُ

٣٥٢- وإذا رأى أحداً يشكو رداءةَ خطِّ أحدٍ أنشد:

اعذر أخاك على رداءة خَطِّه واغفر رداءته لجودة ضبطه
فإذا أبان على المعاني لم يكن تحسينُه إلا زيادةَ شرطه
واعلم بأن الخط ليس يراد من تركيبه إلا تَبَيُّنُ سمطه

أو أنشد:

والخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

٣٥٣- وإذا أشاد بجمال خطِّ أحدٍ أنشد:

وسوارٍ كأنها في اعتدالٍ ألفاتُ الوزير في عَرْضِ طِرسِ

المقصود بالوزير ههنا: ابن مُقْلَة الخطاط المشهور.

٣٥٤- وإذا قيل: فلان يَدْفن إربه، ولا يُظْهِرُ مقدارَ عقله أنشد:

وقد يتغابى المرء مِنْ عِظْمِ مالَهُ ومن تحت ثوبيه المغيرةُ أو عمرو

وربما أنشد:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيدَ قومِه المتغابي

٣٥٥- وإذا رأى حازماً حليما لا يُفْطَن له أنشد:

له حِلْمُ كهلٍ في صرامةِ حازم وفي العين إن أبصرتَ أبصرتَ ساهيا

٣٥٦- وإذا قيل له: فلان عاقل ولا يؤبه لعقله؛ لفقره، وفلان أحمق وله صولة وجولة؛ بسبب غناه أنشد:

ربَّ حِلْمٍ أضاعه عدم الما لِ وجهلاً غطى عليه النعيم

٣٥٧- وإذا رأى ذا حشمة ووقار يَتَبَسَّط مع خاصته، وينطلق معهم على سجيته أنشد:

فِيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا لاقيت أهل الوفاء والكرم

خليت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

٣٥٨- وإذا كانت له حاجةٌ عند ذي منةٍ وفخر تركها وأنشد:

وَلَلْموتُ خيرٌ من تَخَشُّعِ ذي الحجى لـذي مِنَّـةٍ يَـزْورُّ للـؤم جانبـه
لـه كـلَّ يـوم نزحـةٌ وغـضاضةٌ إذا ما انزوى أنفُ اللئيم وحاجبُه

أو أنشد:

يقولون هذا موردٌ قلت: قد أرى ولكنَّ نفس الحرِّ تحتمل الظما

٣٥٩- وإذا كان له حاجة، وضاقت عليه بها السبل، ولا يدري بمن ينزلها أنشد:

إليـك المـشتكى لا منـك ربي وأنـت لنائبـات الـدهر حسبيْ

أو أنشد:

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصدُ
وقفت بباب الله وقفة ضارعٍ وقلت: إلهي إنني لك قاصد
ولست تراني واقفاً عند باب من يقول فتاه: سيدي اليوم راقد

٣٦٠- وإذا رأى إنساناً مولعاً بما ليس من حاجته أنشد:

عشيةَ مالي حيلة غير أنني بلقط الحصا والخطِّ في الدار مولعُ

٣٦١- وإذا رأى من أحدٍ توانياً عن المساعدة والإسعاف بلا مسوغ أنشد:

واقضِ الحوائج ما استطعت وكُنْ لِهَمِّ أخيك فارِجْ
فَلَخيْرُ أيامِ الفتى يومٌ قضى فيه الحوائجْ

٣٦٢- وإذا رأى إنساناً يريد من الناس أن يخدموه دون مقابل، ويعتب عليهم إذا قصروا في ذلك أنشده:

ما بعث المرءُ في حوائجه أنجحَ من درهم ودينار

أو أنشده:

وأقضى على الهول من صارمٍ وأنجع سعياً من الدرهم

أو قال:

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ
فأرسل حكيماً ولا توصِه وذاك الحكيم هو الدرهم

٣٦٣- وإذا قال له أحد: إن فلاناً يغضب، ويعتب من دون سبب أنشد:

إذا كنت تغضبُ من غير ذنبٍ وتعتبُ من غير جرمٍ عَليَّا
طلبتُ رضاك فإن عَزَّني عَدَدْتُك ميْتاً وإن كنتَ حيا

٣٦٤- وإذا قيل له: إن فلاناً اعتذر من فلان فلم يقبل عذره أنشد:

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تغفر له فلك الذنب

وربما أنشد:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
لقد أجلَّك مَنْ يرضيك ظاهرُه وقد أطاعك من يعصيك مستترا

أو أنشد:

وإن كان ذنبي كلَّ ذنبٍ فإنه محا الذنبَ كُلَّ الذنب مَنْ جاء تائبا

٣٦٥- وإذا طلب من إنسان أن يصفح عن إساءة أحد من الناس، فرفض الصلح بحجة أنه أخطأ في حقه أنشده:

والصفح لا يحسن عن محسن وإنما يحسن عن جانِ

٣٦٦- وإذا حذر نفسه، أو غيرها من الذنوب أنشد:

النفس أكرم موضعاً من أن تُدَنَّس بالذنوبْ

ما لذةُ الدنيا لها ثمناً وإن مُزِجَت بطيبْ

أو أنشد:

تتوب من الذنوب إذا مَرِضْتا وترجع للذنوب إذا بَرِئْتا

إذا ما الضر مسَّك أنت باكٍ وترجع للذنوب إذا قويتا

أما تخشى بأن تأتي المنايا وأنت على الخطايا قد دُهيتا

٣٦٧- وإذا حث أحداً على المشاورة أنشد:

اقرن برأيك رأيَ غيرك واستشر فالحق لا يخفى على الاثنين

أو أنشد:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادمِ

٣٦٨- وإذا رأى إِمَّعةً يسير مع الناس حيث ساروا دون نظر

وتبصُّرٍ أنشد:

ولست بذي رِثيةٍ إمَّرٍ إذا قِيْدَ مستكرَهاً أصحبا

٣٦٩- وإذا رأى جماعة يتبعون شخصاً في كل شيء حقاً كان أو باطلاً أنشد:

قومٌ إذا ما حجَّ عيسى حجُّوا وكُلّهُمْ حَجُّهُمُ معوجُّ

٣٧٠- وإذا رأى جاهلاً أحمق يتبع رأي جاهلٍ أحمقَ أنشد:

كبهيمةٍ عمياءَ قاد زمامَها أعمى على عوج الطريق الحائر

٣٧١- وإذا رأى جاهلاً يتمادى في سفهه، وطيشه، وحمقه؛ بسبب مسايرة بعض العقلاء له، ومجاملتهم إياه أنشد:

ذو جنونٍ وزاد فيه جنوناً أن يرى ذا الحِجا يطيع جنونَهْ

٣٧٢- وإذا رأى رجلاً صاحب مبادراتٍ طيِّبة أنشد:

رأيت عَرابةَ الأوسيَّ يسمو إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقاها عَرابةُ باليمين

٣٧٣- وإذا قيل له: إن فلاناً يدرك الأمور بتؤدة أنشد:

رقيق حواشي العلم حين تبور يريك الهوينى والأمور تطير

٣٧٤- وإذا قيل له: إن ذلك العالم أو الوجيه يَحْطِمُهُ الناس؛ لطلب العلم أو الشفاعة أنشد:

ولا ذنب للعود الذِّماريِّ إنما يُحرَّق مَنْ دلَّت عليه روائحُه

أو أنشد:

لا غرو أن تجني عليَّ فضائلي ... سببُ احتراق المندلي دُخَانُه

٣٧٥- وإذا قيل له: إن فلاناً عُزِل من منصبه، أو أصيب بخسارة فادحة، أو نحو ذلك أنشد:

ولا عار أن زالت عن المرء نعمةٌ ... ولكنَّ عاراً أن يزول التجملُ

٣٧٦- وإذا أراد تعزية معزول ذي مروءة، وعدل أنشد:

لِيهْنَك إن أصبحت مجتمع الشملِ ... وراعي المعالي والمحامي عن المجد

وإنك صنت الأمر فيما وَلَّيْتَه ... وفرقت ما بين الغواية والرُّشْدِ

فلا يحسبِ الأعداءُ عزلَك مغنماً ... فإنَّ إلى الإصدار ما غايةُ الورد

وما كنت إلا السيف جُرِّد للوغى ... وأحمد فيه ثم رُدَّ إلى الغِمْدِ

أو أنشد:

فإن تكن الإمارة عنك زالت ... فإنك للمغيرة والوليد

وقد مَرَّ الذي أصبحت فيه ... على مروانَ ثم على سعيد

أو أنشد:

أبا إسحاق إن تكن الليالي ... عطفن عليك بالعزل اللئيم

فلم أرَ صِرْفَ هذا الدهر يجري ... بمكروه على غير الكريم

٣٧٧- وإذا قيل له: إن فلاناً يُبَدِّد ماله فيما لا ينفع أنشد:

شر المواهب ما تجود به ... من غير محمدة ولا أجر

٣٧٨- وإذا أحسن فَقُلِبَ عليه الأمر أنشد:

إذا محاسني اللاتي أُدِلُّ بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

أو أنشد:

تتهشم الأعذارُ وهي فتيَّةٌ إن عُدَّ ذنبُ الصبحِ في أضوائِهِ

٣٧٩- وإذا سعى في مصلحة أحد، فأدركها، ولم يجد إلا الكنود، وإساءة الفهم أنشد:

أحمامةَ الوادي بشرقيِّ الغَضا إن كنت مسعفة الكئيب فرجّعي

إنا تقاسمنا الهوى فغصونُه في راحتيك وجَمْرُه في أضلعي

٣٨٠- وإذا أراد تنبيه محبٍّ على بعض الخلل، وخشي نفوره أنشد:

أنت عيني وليس من حق عيني غضُّ أجفانها على الأقذاء

أو أنشد:

ما ناصحتْك خبايا الودِّ من رجل ما لم ينلْك بمكروه من العَذَلِ

محبتي فيك تأبى عن مسامحتي بأن أراك على شيء من الزللِ

٣٨١- وإذا لقيه محبٌّ في طريق، وأراد إيقافه؛ للسلام عليه أنشد:

قِفْ لنا في الطريق إن لم تَزُرْنا وَقْفَةٌ في الطريق نصفُ الزيارةْ

٣٨٢- وإذا رأى إنساناً يسأل من لا يجيبه، أو يجيب من لا يسأله أنشد:

وسألت من لا يستجيب وكنت في اسـ ـــتخباره كمجيـبِ مَـنْ لا يــسألُ

٣٨٣- وإذا قيل له: فلان بلي ببلية فأظهر تجلداً، وصبراً، ومروءة أنشد:

مِحَنُ الفتى يُخْبِرْن عن فضل الفتى كالنـار مُخْـبِرةٌ بفـضل العنـبر

أو أنشد:

.... كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

٣٨٤- وإذا حذر أحداً من صحبه كسلان أنشد:

لا تـصحبِ الكسلان في حاجاتـه كـم صـالح بفـساد آخـر يفـسد

عـدوى البليـد إلى الجليـد سريعـةٌ كالجمر يوضـع في الرمـاد فيخمـد

٣٨٥- وإذا قيل له: كيف يُذَمُّ فلانٌ وهو هو في الفضل أنشد:

ذو الفـضل لا يـسلم مـن قَـدْحٍ ولــو غــدا أقــومَ مــن قِــدح

القَدْح: الذم، والقِدْح: السهم.

وربما أنشد:

لو كنت كالقِدْح في الميزان معتـدلاً لقالـت النـاس هـذا غـير معتـدل

٣٨٦- وإذا رأى إنساناً يُعَرِّض نفسه للهوى والعشق أنشد:

دخولك من باب الهـوى إن أرَدْتَـه يـسيرٌ ولكـن الخـروج عـسير

أو أنشد:

رأيت الهوى سهل المبادي لذيـذَها وعقباه مُرُّ الطعم ضَـنْك المسالك

أو قال:

أول العشق مزاح وولعْ ثم يزداد فيزداد الطمعْ
كلُّ مَنْ يهوى وإن عالت به رتبةُ الملك لمن يهوى تبع

٣٨٧- وإذا رأى إنساناً يغشى الرِّيب، ولا يفكر في العواقب أنشد:

ومَنْ لا يمكنْ رجله مطمئنةً لِيُثْبِتَها في مستوى الأرض تَزْلَقِ

٣٨٨- وإذا حذَّر إنساناً من القرب من مواقع الفتن أنشد:

لا تقربْ عرفجاً من لهب وإذا قربتَهُ قامت دُخنْ

أو قال:

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحنْ
إبليس حيٌّ لم يَمُتْ والعين باب للفتن

٣٨٩- وإذا رأى ساعياً بالصلح بين قريبين أو صاحبين، وأراد تحذيره من الوقيعة بأحد منهما عند الآخر، أو معاداة أحدهما؛ محاباة للآخر أنشد:

كم صاحبٍ عاديته في صاحب فتصالحا وبقيت في الأعداء

٣٩٠- وإذا قيل له: أمَّلنا الخير في فلان فلم يكن كذلك أنشد:

وما كنتَ إلا الماء جئنا لشربه فلما وردناه إذا الماءُ جامدُ

أو أنشد:

ظننـــت بـــه ظنـــاً فقـــصّر دونـــه   فيـاربَّ مظنـونٍ بـه الخـير يُخلِـفُ

٣٩١- وإذا رأى إنساناً يسيء إلى من يحسن إليه، ويحسن إلى من يسيء إليه أنشد:

كعنـز الـسوء تَـنْطح مـن خلاهـا   وتــرأم مــن يحــد لهــا الـشِّفارا

٣٩٢- وإذا رأى إنساناً بلغ به الغرور مبلغه أنشد:

وإذا اســتوت للنمــل أجنحــةٌ   حتــى يطــير فَقَــدْ دنــا عَطَبُــه

٣٩٣- وإذا رأى رجلاً تيَّاهاً معجباً بنفسه لا يقبل من أحد نصحاً أنشد:

إذا المــرء لم يَــدْرِ مــا أمكنــه   ولم يــأت مــن أمــره أحــسنهْ

وأعجبـــه العجـــبُ فاقتـــاده   وتـــاه بـــه التيـــهُ فاستحـــسنهْ

فَدَعْـــهُ فقـــد ســـاء تـــدبيرُه   سيـضحك يومـاً ويبكـي سـنهْ

٣٩٤- وإذا رأى أحداً يمدح صديق سوء، ويقربه أنشد:

متى تحمـدْ صـديقَ الـسوءِ فـاعلم   بأنـــك بعـــد محمـــدة تذمُّـــه

كطفـــل راقـــه تـــرقيشُ صِـــلٍّ   فلـــما مـــسَّه أرْداه سُـــمُّه

٣٩٥- وإذا رأى أحبةً أو أقاربَ يتخاصمون أنشد:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤهـا   تذكرت القربى ففاضـت دموعهـا

٣٩٦- وإذا رأى أناساً يختلفون عند توافه الأمور أنشد:

ومـــرادُ النفـــوسِ أهـــونُ مـــن أن نتعـــــادى فيــــه وأن نتفـــــانى

٣٩٧- وإذا رأى إنساناً يدخل بين الأقارب والأصدقاء بالشر أنشد:

لا تـــــــــدخلنَّ تكلفـــــــــاً بـــــين العـــــصا ولحائهـــــا

٣٩٨- وإذا رأى أحداً يَبُثُّ أسرار صاحبه بعد أن ساءت العلاقة بينهما أنشد:

ليس الكريم الـذي إن زل صـاحبه بـثَّ الـذي كـان مـن أسراره علـما
بـل الكـريم الـذي تبقـى مودتـه ويحفظ السر إن صـافى وإن صرمـا

٣٩٩- وإذا رأى إنساناً صارماً، مبالغاً في الجد أنشده:

أَفِدْ طبعـك المكـدود بالجـدِّ راحـة يَجِـمَّ وعللّـه بـشيء مـن المـزح
ولكــن إذا أعطيتــه المـزح فلـيكن بمقدار ما تعطي الطعام مـن الملـح

٤٠٠- وإذا رأى أناساً متفاوتين في المواهب، متفاضلين في الأخلاق أنشد:

أعمـــى وأعـــشى ثـــم ذو بـــصرٍ وزرقـــاء اليمامـــةْ
ســبحان مـــن قـــسم الحظـــو ظ فـــلا عتـــاب ولا ملامـــةْ

أو أنشد:

ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتت لدى الفضل حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

أو أنشد:

ترى بين الرجالِ العينُ فضلاً وفيما أضمروا الفضل المبينُ
كلونِ الماء مشتبهاً وليست تخبِّر عن مذاقته العيونُ

٤٠١- وإذا قال له أحد: لقد أعجبتني أخلاقُ فلانٍ أنشد:

إذا أعجبتك خصال امرئ فَكُنْهُ تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

٤٠٢- وإذا امتدح أحداً بخفة الرأس عند النوم أنشد:

لقد علمتْ أمُّ الصبيين أنني إلى الضيف قَوَّامُ السنات خَرَوج

معنى قوام السنات: يريد سريع الانتباه، والسّنات: جمع سنة، والسنة: شدة النعاس.

٤٠٣- وإذا رغب في التذكير بنعمة العافية أنشد:

إني وإن كان جمعُ المال يعجبني فليس يعدِلُ عندي صحةَ الجسدِ
في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمة والسقم ينسيك ذكر المال والولدِ

٤٠٤- وإذا سُئل عن عُمُرِه أنشد:

عمري بروحي لا بِعَدِّ سنيني فلأسخرنَّ غداً من التسعينِ
عمري إلى الخمسين يجري مسرعاً والروح واقفةٌ على العشرين

أو قال:

عمـــــري إلى الــــسبعين ....

٤٠٥- وإذا حثَّ على إحسان الظن بالله أنشد:

أحـــسنْ بربــــك ظَنَّـــكْ فإنــــه عنـــــد ظنِّـــكْ
واجعــــل مـــن الله حـــصناً فإنــــه خـــير حِـــصنِكْ

أو أنشد:

أحـسن الظـن بمـن قـد عـوَّدك كـــل إحـــسانٍ وســـوَّى أَوَدَكْ
إنَّ ربـــاً كـــان يكفيـــك الـــذي كـــان بـــالأمس ســـيكفيك غـــدكْ

٤٠٦- وإذا اعتذر عن زيارة مريض أنشد:

إن كنــت في تــرك العيــادة تاركــاً حظــي فــإني في الــدعاء لجاهــدُ

٤٠٧- وإذا سار إلى زيارة من يحب، ووجد خفة في سيره أنشد:

تـــالله مـــا جئـــتكم زائـــراً إلا رأيـــت الأرض تُطـــوى ليْ
ولا انثنـى عزمـيْ عــلى بـابِكم إلا تعثــــــرتُ بأذيــــــاليْ

أو أنشد:

أرى الرجـل تـسعى إلى مـن تحبُّـه وما الرجل إلا حيث يسعى بها القلبُ

٤٠٨- وإذا رأى أحداً سيفارق بلده عن قريب أنشد:

تمتَّــع مــن شــميم عــرار نجــدٍ فــما بعــد العــشية مــن عــرار

٤٠٩- وإذا بعث السلام إلى أحد أحبته على البعد أنشد:

وسلامي من بعيد كلما عزَّ إلقاءُ سلامي من قريبِ

٤١٠- وإذا ودَّع صاحباً قريباً من قلبه أنشد:

ودعته وبودي لو يودعني طيبُ الحياة وأني لا أودِّعه

أو أنشد:

أيا عجبي ممن يمد يمينَه إلى إلفِهِ يوم الوداع فيسرعُ

ضعفت عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلبِ والعينُ تدمعُ

أو أنشد:

وموقف للوداع ألبسني لباسَ همٍّ يسوءُ موقِعُه

والدمعُ قد شرقت به أستودع الله من أودِّعُه

٤١١- وإذا سار في توديع عزيز عليه أنشد:

ودَّعَ الصبرَ محبٌّ ودَّعك ذائع من سره ما استودعك

يقرع السنَّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذ شيَّعَك

٤١٢- وإذا ودَّع أحبَّةً، وشعر بالشوق إليهم بعد الرحيل عنهم مباشرة أنشد:

أشوقاً ولما يَمْضِ بي غير ساعةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهرا

٤١٣- وإذا ودَّع أَحبةً لفراق خارج عن إرادته، وليس له حَوْلٌ فيه أنشد:

أودِّعكـــم والله يعلـــم أننـــي شغوفٌ بكم لا أبتغي البعدَ عَنْكُمُ

وما مـن قِـلىً كـان الفـراقُ وإنـما دواعٍ تبـدَّتْ فالـسلام علـيكمُ

٤١٤- وإذا ودَّع أحداً، وأمَّلَ في لقياه مرة أخرى أنشد:

لا تــأسَ يــا قلـــب مـــن وداعٍ فـــإن قلـــب الـــوداع عـــادوا

هذا ما تيسَّر إيرادهُ من ذيلِ أبياتِ الاستشهاد؛ فلعل فيه خيراً، وبركة.

الفهرس